مجلة الجامعة الإسلامية للدراسات الإسلامية | المجلد الثالث والعشرون، العدد الثاني، 61–87 يونيو 2015
IUGJIS | ISSN 2410-5201

معيار الرقي البشري من منظور قرآني

د. أحمد سعيد عزام[1,*]

[1] جامعة القدس المفتوحة، جنين، فلسطين

تاريخ الإرسال (2015/02/16)، تاريخ قبول النشر (2015/04/20)

ملخص البحث

يتناول هذا البحث موضوعاً مهماً في الإنسان وطبيعته، وجوانب اختلافه عن غيره، وبالتالي بين المعيار الثابت والمهم- وفق النظرة القرآنية – والذي يمكن للبشر أن يرتقوا من خلاله إلى مستوى بشريتهم، ويحافظوا على خصائصهم الإنسانية، التي طالما تفاخروا بها وميزتهم عن غيرهم. وقد بين الباحث فيه اختلاف الإنسان عن غيره اختلافاً واضحاً، من حيث أصل الخلقة وتميزه بالعقل الراقي والمشاعر النبيلة، التي لا يصل إلى مستواها غير هذا النوع الإنساني، ووضع الباحث ضوابط للرقي البشري، والتي لا يمكن أن يصل الإنسان إلى الحضارة والرقي السامي إلا بالالتزام بهذه الضوابط، ومن خلالها يسمو ويرتقي وبين الباحث أخيراً آثار العقيدة الإسلامية في بناء الإنسان ورقيه، والتي تقوم عليه حضارة البشر، وبدونها سينهار ويرتكس في الحمأة الوبيئة.

الكلمات المفتاحية: الرقي البشري، المنظور القرآني.

Human Progress Standard from the Perspective of our Qura'n

Abstract

This research deals with an important subject in the human being and his nature, and the different aspects from other creatures. Thus he puts fixed and important standard according to our Qura'n point of view in which the humans can rise and progress to reach their humanity and keep their human characteristics that they keep boasting with which distinguish them from others.

The researcher shows in his research that there is an obvious difference between the humans and others in items of the creation. The up scaled mind and noble feelings which none can reach.

The researcher puts regulations for the human progress, which the human can't reach the civilization and the high advancement unless he is committed to these controls, which through he can rise and progress.

Keywords: Human Progress, Perspective of our Qura'n.

---

[*] البريد الالكتروني للباحث المرسل: Dr.ahmaazzam@gmail.com

المقدمة:

الحمد لله وحده والصلاة على من لا نبي بعده.

أهمية البحث:

خلا القرن الماضي وكان من أشد القرون تعاجباً من قبل البشرية، بسبب ما وصلت إليه من تطور في عالم المادة، وظن الجاهلون منهم أن البشر قد وصلوا إلى أرقى ما تصل إليه الإنسانية من حضارة وتقدم، وبعد أن أفاق البشر من غفلتهم، رأوا نتائج وخيمة في حياتهم، وإفلاساً في عالم القيم والأخلاق، وتردي البشرية إلى مستوى لم يكن في حسبانهم، وبدأ العقلاء – من الغربيين خاصة – يطلقون صيحاتهم لنجدة البشر من الانهيار الإنساني، والسبب في ذلك سوء تقديرهم لمفهوم الحضارة الإنسانية، وعدم وضعهم لمعايير الرقي البشري، ومتى يرتقي الإنسان في إنسانيته ومتى ينحط من بشريته ، ومن هنا نبعت أهمية هذا البحث.

دوافع البحث:

الدافع الأول: حين يتدبر العاقل الواعي حياة أكثر البشر اليوم، يرى كيف يعيشون في مستنقع آسن وظلام دامس، وحياة بهيمية، ويخشى أن تختلط الحقائق على الجيل، فيظن أكثرهم أن المستوى الذي وصل إليه البشر اليوم هو الرقي بذاته، فتختفي الحقيقة، وتضيع المعايير الصحيحة التي تقاس إليها الأمور قرباً أو بعداً.

الدافع الثاني: ما نجده عند البعض من تصرفات وفق قاعدة (الغاية تبرر الوسيلة)، غافلين عن طبيعة الدعوة الربانية وأهدافها وغايتها، وهو الحفاظ على إنسانية الإنسان، ولا يجوز إهدار كرامته من أجل تحقيق غايات عاجلة.

الدافع الثالث: هو تقديم هذا الدين وإبرازه – بجماله ونقائه – للآخرين، وبيان أن دين الله هو رسالة إنسانية، يختلف عن الدعوات البشرية ،التي ليس لها هم سوى تحقيق مكاسب اقتصادية أو سياسية ابتغاء العلو في الأرض.

منهج البحث:

سلك الباحث في بحثه (المنهج الوصفي)، حيث قدم معايير الرقي البشري ونظرة الإسلام إلى إنسانية الإنسان كما هي، من خلال نصوص القرآن، وكما فهمها العلماء الأثبات، ولم يخل البحث من تحليل أو استنباط في بعض المواطن حسب ما اقتضته طبيعة هذا البحث.

وقد اعتمد الباحث على القرآن الكريم كأساس في البحث، واستعان بعدة أحاديث نبوية عند الاقتضاء، وما استنبطه العلماء والمفسرون من هذه النصوص، وربما دلل على ما وصل إليه من آراء المفكرين الآخرين.

واتبع طريقة موحدة في توثيق المراجع والمصادر في البحث على النحو الآتي:

1. جميع المصادر والمراجع والحواشي وضعت لها أرقام متسلسلة، في نهاية كل نص مقتبس، ثم وضعت هذه المراجع والمصادر في فهرس مستقل نهاية البحث.
2. عند ذكر المرجع أو المصدر لأول مرة، وثق توثيقاً كاملاً على النحو الآتي: كنية عائلة المؤلف ثم يليها اسم المؤلف، عنوان الكتاب أو البحث، (مكان النشر، الناشر، الطبعة، سنة النشر) الجزء أو المجلد والصفحة. وفي حالة ذكر المرجع مرة أخرى اكتفيت بذكر عنوان الكتاب أو البحث واسم مؤلفه مع الجزء أو المجلد والصفحة.

3. في حالة تكرار المرجع مرة ثانية على التوالي، اكتفيت بذكر عبارة (المرجع السابق) مع ذكر الجزء أو المجلد والصفحة.
4. أشرت إلى الآيات في المتن فقط ،بذكر السورة ورقم الآية .أما الأحاديث النبوية فقد ألحقتها بالمصادر والحواشي بعد تخريجها من مصادرها.

خطة البحث:

هذا وقد قسمت البحث إلى عدة مباحث ومطالب:

المبحث الأول: تعريف (المعيار) لغة واصطلاحاً.
- المطلب الأول: تعريف (المعيار) لغة.
- المطلب الثاني: تعريف (المعيار) اصطلاحاً.

المبحث الثاني: تميز الجنس البشري عن المخلوقات الأرضية.
- المطلب الأول: تميز الإنسان في ارتقائه الخلقي.
- المطلب الثاني: تميز الإنسان في ارتقائه العقلي.
- المطلب الثالث: تميز الإنسان في حرية الاختيار والإرادة.

المبحث الثالث: معايير الرقي الإنساني.
- المطلب الأول: المعيار العقلي.
- المطلب الثاني: المعيار العاطفي والنفسي.
- المطلب الثالث: معيار الغاية والهدف من الوجود الإنساني.

المبحث الرابع: العقيدة وأثرها في بناء الإنسان ورقيه البشري.
- المطلب الأول: الإيمان بالله عز وجل وأثره في رقي الإنسان وبنائه الحضاري.
- المطلب الثاني: الإيمان باليوم الآخر وأثره في رقي الإنسان وتحضره.
- المطلب الثالث: أثر الإيمان في استقلال شخصية الأمة الحضارية.

المبحث الأول: تعريف المعيار لغة واصطلاحاً

المطلب الأول: تعريف (المعيار) لغة:

"يقال: عير الدينار: وازن به آخر، وعير الميزان والمكيال وعارهما وعايرهما وعاير بينهما معايرة وعياراً: قدرهما ونظر ما بينهما.

المعيار: من المكاييل و(العيار) ما عايرت به المكاييل، فالعيار صحيح تام واف وتقول: عايرت به أي سويته، وهو العيار والمعيار، ويقال: عايروا ما بين مكاييلكم وموازينكم، وهو فاعلوا من العيار وعيرت الدنانير: وهو أن تلقي ديناراً ديناراً فتوازن به ديناراً ديناراً، وكذلك عيرت تعييراً إذا وازنت واحداً واحداً، يقال: هذا في الكيل والوزن وقد فرق بعضهم بين (عايرت) و (وعيرت) فجعل عايرت في المكيال وعيرت في الميزان"(1)" والمعايرة: التقدير

بالحجم بمحاليل قياسية معروفة قوتها"[2]" ومعيار: عيار، مقياس يقاس به غيره للحكم والتقييم"[3]، "والمعيار: ما يقاس به غيره ويسوى"[4].

المطلب الثاني: تعريف (المعيار)اصطلاحاً:

"المعيار (في الفلسفة): نموذج متحقق أو متصور لما ينبغي أن يكون عليه الشيء ومنه العلوم المعيارية: وهي المنطق والأخلاق والجمال، والجمع (معايير)"[5]، "ويقال: اختاروا الموظفين حسب معايير محددة. وهناك فرق بين (المعيار) و (المقياس)، فالمعيار: هو مؤشر كمي (نموذج للأداء) يمنحنا فهم نسب ارتباط المحاور أو الوحدات أو بيئة عمل أو منتج ما ببعضها، والغاية تشكيل مكون مادي ضمن شروط ومتطلبات موضوعية ومحددة مسبقاً. أما (المقياس) فهو الذي يقدم بدوره أدوات التحليل الأساسية ومنهجية العمل، والقيم الفعلية المستفادة من إجرائها، بكونه (أي المقياس) يسعى لتنمية المدارك المتصلة بالبناء الاقتصادي الشامل والظروف الاجتماعية وأبعادها على مستوى التحليل والمعرفة"[6].

"والمقياس: ما يقاس به الشيء أي ما يعرف الشيء بالقياس إليه، وما ينصب من الخشب أو الحديد أو غيرهما لمعرفة الأوقات والساعات يسمى مقياساً"[7]، "والمقياس أيضاً: المقدار وما قيس به من أداة أو آلة (جمع مقاييس)"[8].

وهكذا نلحظ أن المقياس أعم والمعيار أخص، والمقياس أشبه بالآلة والأداة، والمعيار أقرب إلى الضوابط المحددة التي تعرف بها الأشياء قرباً أو بعداً من النماذج والأمثلة الصحيحة التامة الوافية.

المبحث الثاني: تميز الجنس البشري عن المخلوقات الأرضية

حسم القرآن الكريم هذه القضية بنصوص قاطعة واضحة، وقرر أن الإنسان جنس متفرد ومتميز عن جميع المخلوقات التي أبدعها الله سبحانه وتعالى فوق الأرض، ولا يمكن أن يشتبه أو يتشابه مع أي كائن على الإطلاق، وهذا التمايز يظهر من عدة جوانب، سنحاول إلقاء الضوء عليها في المطالب الآتية:

المطلب الأول: تميز الإنسان في رقيه الخلقي

يقرر القرآن الكريم بأن الله سبحانه خلق الإنسان في أحسن تقويم (لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم) التين: 3، " أي في الصورة الظاهرة والشكل، فقد خلق الله تعالى كل ذي روح مكباً على وجهه إلا الإنسان، فإنه خلقه مديد القامة"[9].

وهذا ما يعطيه صورة متميزة وشخصيته الراقية الممتازة أثناء سيره وحركته في الحياة، وهي صورة أبدعتها يد الخالق ولم تكن عشوائية أو صدفة دون تدبير وتقدير مسبق، بل جاءت على الشكل والكيفية التي أرادها الله خالق الإنسان وفق مشيئة وتقدير سابق، لتقوم بوظيفتها على أحسن حال (يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم، الذي خلقك فسواك فعدلك، في أي صورة ما شاء ربك) الانفطار: 6-8.

قال ابن كثير-بعد أن ساق أقوال عدد من السلف في الآية-"ومعنى هذا القول عند هؤلاء أن الله عز وجل قادر على خلق النطفة على شكل قبيح من الحيوانات المنكرة الخلق ،ولكن بقدرته ولطفه وحلمه يخلقه على شكل حسن مستقيم معتدل تام حسن المنظر والهيئة"[10].

إن خلق الإنسان على هذه الصورة الجميلة السوية المعتدلة الشكل والوظيفة، أمر يستحق التدبر الطويل والشكر العميق، والأدب الجم والحب لربه الكريم، الذي أكرمه بهذه الخلقة تفضلاً منه ورعاية ومنة، فقد كان قادراً أن يركبه في أي صورة أخرى يشاؤها. فاختار له هذه الصورة السوية المعتدلة الجميلة.

وإن الإنسان لمخلوق جميل التكوين، سوي الخلقة، معتدل التصميم، وإن عجائب الإبداع في خلقه لأضخم من إدراكه هو، وأعجب من كل ما يراه حوله، وإن الجمال والسواء والاعتدال لتبدو في تكوينه الجسدي، وفي تكوينه العقلي، وفي تكوينه الروحي سواء، وهي تتناسق في كيانه، في جمال واستواء.

وهناك مؤلفات كاملة في وصف كمال التكوين الإنساني العضوي ودقته وإحكامه، وفي كل جهاز من أجهزة تركيبه الكثيرة...عجيبة لا تقاس إليها كل العجائب الصناعية التي يقف الإنسان مدهوشا أمامها، وينسى ذاته وهي أضخم وأعمق وأدق بما لا يقاس(11). ويضيق بنا المقام عن ذكر عجائب الأجهزة الإنسانية ودقتها،" تقول مجلة العلوم الانجليزية: إن يد الإنسان في مقدمة العجائب الطبيعية الفذة، وإنه من الصعب جداً – بل المستحيل – أن تبتكر آلة تضارع اليد البشرية من حيث البساطة والقدرة وسرعة التكيف، فحينما تريد قراءة كتاب بيدك ثم تثبته في الوضع الملائم للقراءة، هذه اليد هي التي تصحح وضعه تلقائيا وحينما تقلب إحدى صفحاته تضع أصابعك تحت الورقة، وتضغط عليها بالدرجة التي تقلبها بها، ثم يزول الضغط بقلب الورقة، واليد تمسك القلم وتكتب به، وتستعمل كافة الآلات التي تلزم الإنسان من ملعقة إلى سكين إلى آلة الكتابة، وتفتح النافذة وتغلقها وتحمل كل ما يريده الإنسان، واليدان تشتملان على سبع وعشرين عظمة وتسع عشرة مجموعة من العضلات، لكل منهما"(12)، وقس على ذلك بقية أعضاء الجسم عضواً عضواً، وهذه الأجهزة – بدقتها وإحكامها في الإنسان –، فقد يشاركه فيها الحيوان بصورة من الصور، ولكن تبقى له هو خصائصه المتميزة في كثير من هذه الأعضاء، في الشكل والجمال أحياناً، أو في الوظيفة والأداء، أو في الدقة والإحكام والقيام بعملها خير قيام.

وبهذا الشكل الظاهري للإنسان لا يستطيع أحد أن يجادل أو يماحك في رقي الإنسان وتميزه عن المخلوقات الأرضية، مهما كانت ثقافته أو مستوى تفكيره؛ لأنها صورة ظاهرة مدهشة تظهر بوضوح لكل ذي بصر يبصر بعينين.

المطلب الثاني: تميز الإنسان في رقيه العقلي(13)

وقد يصعب تحديد مكان العقل من الإنسان ،هل هو في الدماغ أم في القلب، وما هي علاقته بهما ، وعلى أية حال فالدماغ له علاقة بالعقل،مع صعوبة تحديد هذه العلاقة على وجه الدقة، ومهما يكن من أمر هذه العلاقة فسيبقى "الدماغ البشري أرقى درجات المادة العضوية (التي أبدعها الخالق سبحانه)، بحيث أنه انفرد بإنتاج الفكر والوعي الذين يتباهى بهما بنو البشر، بغض النظر عن درجة ومدى الإفادة منهما، وسبل التوظيف المتاحة في مختلف المجتمعات"(14).

قال ابن الجوزي مبيناً مكانة العقل وعظمة هذه النعمة: " فإن من أعظم النعم على الإنسان (العقل) لأنه الآلة في معرفة الإله سبحانه، والسبب الذي يتوصل به إلى تصديق الرسل"(15) ولذلك جعل الله سبحانه هذا العقل مناط التكليف.

ولما كان الإنسان مكلفاً وحاملاً للأمانة التي كلف بها، خلق له عقلاً مميزاً امتاز به عن المخلوقات الأرضية، وبه استحق أن يكون خليفة في الأرض، لأن العقل قادر على التمييز بين الحق والباطل، وبين الخير والشر، وهو الذي يمنع صاحبه من ورود المهالك، قال تعالى: (هل في ذلك قسم لذي حجر) الفجر: 5 " والحجر هو (العقل)، وسمي به لأنه يمنع من وقوع فيما لا ينبغي، كما سمي عقلاً ونهية"[16]، لأنه يعقل ويمنع الإنسان من تعاطي ما لا يليق به من الأفعال والأقوال[17]، وبالتالي " فالنشاط الإنساني يتحدد بعقله وعواطفه، فالعقل يتحكم بتصرفات الفرد ويوجهها ويقود صاحبه في الطريق الصحيح، ويشرف على تنسيق أفكاره ويساعده على مقارنة سلوكه بالمقاييس الأخلاقيه والتقاليد الاجتماعية السائدة"[18]

فنجد أن الله سبحانه قد امتن في كتابه على الإنسان بهذا العقل المميز الراقي – الذي يختلف كل الاختلاف عن باقي المخلوقات الأرضية، – في عدة آيات – ولكن عند تصفح القرآن الكريم لا نجد فيه آيات ذكرت العقل – بهذه الصيغة أو بصيغ أخرى – في معرض الامتنان على الإنسان وتميزه في أصل الخلقة – وإنما أطلق عليه لفظ (الفؤاد) مثلاً، بينما الآيات – التي نعت على الكفار الذين عطلوا عقولهم وضلوا عن الطريق – نجد الكثير منها مبثوثة في كتاب الله، وذكرت العقل بصيغ مختلفة، وهذا بالطبع ليس موضوعنا في هذا المطلب، وإنما نحن في معرض امتنان الله سبحانه على الإنسان من حيث أصله وتميزه في التركيب الخلقي[19].

قال تعالى: (وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلاً ما تشكرون) الملك: 23، قال ابن كثير "الأفئدة: أي العقول والإدراك"[20] وواضح من الآية الكريمة أنها واردة في معرض الامتنان والفضل الرباني على هذا المخلوق العجيب.

(والأفئدة): هي الخاصية التي صار الإنسان بها إنساناً، وهي قوة الإدراك والتمييز والمعرفة التي استخلف بها الإنسان في هذا الملك العريض، والتي حمل بها الأمانة التي أشفقت من حملها السماوات والأرض والجبال، أمانة الإيمان الاختياري والاهتداء الذاتي، والاستقامة الإرادية على منهج الله القويم، ولا يعلم أحد ماهية هذه القوة،ولا مركزها"[21].

وقال سبحانه: (ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا) الإسراء:36.

والعلوم المستفادة إما مستفادة من الحواس أو من العقول، أما القسم الأول: فإليه الإشارة بذكر السمع والبصر، فإن الإنسان إذا سمع شيئاً ورآه فإنه يرويه ويخبر عنه، أما القسم الثاني: فهو العلوم المستفادة من العقل، وهي قسمان (البديهية والكسبية)، وإلى العلوم العقلية الإشارة بذكر (الفؤاد))[22]. وقد قسم بعض العلماء " العقل البشري إلى ثلاثة أقسام:

1. المعرفة: وتشمل العديد من الوظائف، مثل: الذاكرة والتفكير واتخاذ القرار، ومختلف العمليات المعرفية وما ينبثق منها.
2. العاطفة: وتشمل الانفعالات والنواحي المزاجية، ومختلف المشاعر، كالسرور والغضب والإحباط والخوف والقلق.
3. الدافعية: وتشمل الدوافع البيولوجية أو المتعلمة، أو الأهداف التي يسعى الفرد إلى تحقيقها ويرتبط (الذكاء العاطفي) بطريقة أو بأخرى بكل من القسم الأول والثاني، أي أنه متغير مستعرض بين المعرفة والعاطفة"[23].

وتجدر الإشارة هنا بأن (الذكاء العاطفي) مما امتاز به العقل البشري ولا يصل عقل الحيوان إلى هذا المستوى السامق، لأن هذا النوع من الذكاء يمنح العقل "القدرة على فهم المشاعر الداخلية أو الحالات الوجدانية للآخرين، كما تظهر في تغيرات الوجه، أو نبرات الصوت، أو السلوك التعبيري، كما يتضمن القدرة على توجيه مشاعر الفرد والآخرين، والتمييز بينهما، واستخدام هذه المعلومات لتوجيه عواطفه وسلوكياته، وبالتالي الدخول مع الآخرين في علاقات عاطفية واجتماعية إيجابية تساعد الفرد على الرقي العقلي والعاطفي والمهني وتعلم المزيد من المهارات الإيجابية للحياة"(24).

وبالعموم فإن جميع العلوم مردها في نهاية المطاف إلى العقل، ليحكم بصحتها أو فسادها، أياً كان مصدرها، حتى كان العلماء يتعوذون بالله "من الإقبال على العمل بغير العلم والعقل"(25).

المطلب الثالث: تميز الإنسان في حرية الاختيار والإرادة

قال تعالى: (إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً جهولا) الأحزاب: 72.

والآية واضحة من سياقها وصريحة أن هذا الامتياز منح للإنسان وحده، وهو حرية الاختيار والإرادة وترك المجال له في حرية الإصلاح أو الفساد حسب ما يختاره بمحض إرادته، ثم يحاسب عليه بعد لقاء ربه وأما الجن فيعتبر تابعاً للإنسان، لأن الإنسان في الأرض هو الذي حمل لواء التكليف والرسالة الإلهية، والجن يتبعه تلقائياً، كما دخلت المرأة في الخطاب مع الرجل تلقائياً ،ومن هنا لم يكن من الجن أنبياء، كما لم يكن من النساء أنبياء كذلك.

وسمى الله سبحانه هذا التكليف (أمانة) لأن من قصر فيه فعليه الغرامة، ومن وفى فله الكرامة،وهذا التكليف هو الأمر بخلاف ما في الطبيعة ،كما أنه نوع من التكليف ليس في السماوات ولا في الأرض(26)، فهي تبعة ثقيلة وأمانة ضخمة يحملها هذا المخلوق الضعيف الصغير الحجم، قليل الحول والقوة، فيسير بها وهو واع مدرك مريد مختار، يسير في الطريق الذي يعرف نهايته ومصيره.

وهذه الأمانة ألقيت على آدم وزوجه بعد أن توجهت الإرادة الإلهية لخلقهما، وبعد أن أعلم الله ملائكته به، ثم أمرهم بالسجود لآدم (وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة) البقرة: 30، (وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين) البقرة: 34.

وبهذا كانت "حرية الاختيار ملازمة لخلق الإنسان والنفس، ولسعي الإنسان في الحياة الدنيا، إنها ركن أساسي في الثواب والعقاب، لقد منحنا الله سبحانه القدرة على الاختيار، وبالتالي منحنا حق الاختيار. فالحق ممنوح بملازمته للخلق، وبتحديد المسؤولية والالتزام والحساب يوم القيامة، وكل من يحرم الإنسان هذا الحق أو يمنعه عنه يتعدى حدود الله، ومن يتعد حدود الله ظالم نفسه، لأنه أوقع نفسه في معصية سيحاسب عليها.

وحرية الاختيار هذه شاملة، حيث تشمل (الإيمان والكفر، والنشاط والكسل، والقول والصمت، القعود والحركة، التوكل والتواكل...) بدون اعتداء على الآخرين أو سلبهم حرياتهم وحقوقهم. فميز الله الإنسان بقدرة التمييز، وألزمه بحرية الاختيار.

وآدم عندما خالف الأمر الإلهي وأكل مع زوجته من الشجرة ...، كان التصرف حسب حريتهما وقدرتهما على التعليم. قال تعالى: (وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغداً حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا

من الظالمين) البقرة: 35، وقال لآدم محذراً من إبليس: (فقلنا يا آدم إن هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى) طه: 117.

ولكن الذي حصل أن آدم اختار طريقاً آخر (فوسوس إليه الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى، فأكلا منها فبدت لهما سوءاتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة، وعصى آدم ربه فغوى) طه: 122.

وهكذا نرى بدون حرية الاختيار تنتفي المسئولية... وتنتفي أيضاً المفارقة بين المسلم وغير المسلم، وينتفي الثواب والعقاب(27).

ولا شك أن هذه الحرية علامة تكريم وأي تكريم، ورفعة لهذا المخلوق الصغير وأي رفعة، وتمييزاً له عن باقي دواب الأرض، بل هو تسليم قيادتها وتوجيهها له، وعليه ألقيت التبعة والمسئولية في هذه الأرض إلى يوم الدين.

المبحث الثالث: معايير الرقي الإنساني(28)

لا يمكن للإنسان أن يرتقي أو يسمو بإنسانيته وبشريته إلا إذا توفرت فيه أمور تبرز المعاني السامية في نفسه، والخصائص التي عرف بها كإنسان، وظهر من خلالها ببشريته، فامتاز عن بقية دواب الأرض فإذا لم تتوافر فيه ضوابط ومعايير تعرف بها إنسانيته وبشريته، انحدر إلى أسفل سافلين، وانحط عن مستوى الإنسانية، وتخلى عن خصائصه التي ميزته عن دواب الأرض قال تعالى: (لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم، ثم رددناه أسفل سافلين، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) التين: 4-6.

فضابط (الإيمان والعمل الصالح) ضابط عام، وهو ثمرة السلوك الصحيح الذي يناله الإنسان الصالح، ولكن إذا أطلقنا لأنفسنا العنان لنبحث في الفروع والتفصيلات، نجد عدداً من الضوابط والمعايير الفرعية متناثرة في القرآن الكريم بين آياته، ويمكن حصرها في مطالب ثلاثة:

المطلب الأول: المعيار العقلي

خاطب القرآن الكريم أرقى ما في الإنسان وهو (العقل) في مواطن كثيرة من هذا الكتاب العظيم، وجزم أن الإنسان إذا تخلى عن استعمال آلة العقل ارتكس إلى مستوى المخلوقات والدواب الأرضية الأخرى المتخلفة عن مستوى الإنسان، وتخلى عن الخصيصة التي ميزته عنها وجعلته مخلوقاً كريماً، قال تعالى (إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون، ولو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم، ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون) الأنفال: 22، " والدواب : جمع دابة، وهو كل ما دب على الأرض، (والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على أربع) النور: 45، و(الذين لا يعقلون) أي فقدوا فضيلة العقل الذي يميز بين الحق والباطل ويفرق بين الخير والشر"(29).

ويلاحظ أن النص الكريم يشير إلى قضيتين، أولاً: يصف هؤلاء الذين لا يستجيبون للحق بأنهم (دواب)، والثانية: بأن قلوبهم خالية من الإرادة باتجاه الهدى أصلاً، وإلى هذا يشير الأستاذ سيد قطب فيقول: "ولفظ (الدواب) يلقي بظله بمجرد إطلاقه ويخلع على (الصم البكم الذين لا يعقلون) صورة البهيمية في الحس والخيال، وإنهم لكذلك، فالبهائم لها آذان ولكنها لا تسمع إلا كلمات مبهمة، ولها لسان ولكنها لا تنطق أصواتاً مفهومة، إلا أن البهائم مهتدية بفطرتها فيما يتعلق بشئون حياتها الضرورية، أما هؤلاء الدواب فهم موكولون إلى إدراكهم الذي لا ينتفعون به، فهم شر الدواب

قطعاً ... فالعقل قد يدرك، ولكن القلب المطموس لا يستجيب، فحتى لو أسمعهم الله سماع الفهم لتولوا هم عن الاستجابة، والاستجابة هي السماع الصحيح، وكم من ناس تفهم عقولهم، ولكن قلوبهم مطموسة لا تستجيب"(30).

وهكذا يضع القرآن الخط الفاصل والفارق بين من يرتقي بسماعه للهدى ودعوة الحق ويسموا بها، وبين من ينحدر إلى الحضيض بالصد عن الإيمان، وتعطيل عقله وفهمه، ليصل في نهاية المطاف إلى شر الدواب، والآية نص في المسألة التي نحن بصددها، بأن معيار الرقي الإنساني هو بمقدار ما ينتفع بهذه الأدوات، وأولها (العقل).

ولما جعل الله سبحانه (العقل) مناط التكليف، كان الانتفاع به هو الضابط الأساسي أو من الضوابط التي يرتقي بها الإنسان إلى أسمى درجات الإنسانية، أو ينحدر إلى أحط الدواب الأرضية، فيما إذا عطلها عن وظيفتها التي خلقت من أجلها، حتى أن القرآن –كما ذكرنا– أطلق عليه لفظ (الحجر) (هل في ذلك قسم لذي حجر)، ويكاد يكون هذا اللفظ نص فيما نحن بصدده، من اعتبار العقل هو الضابط الأول والأساسي لإنسانية الإنسان، قال الإمام الرازي:"الحجر هو العقل، وسمي به لأنه يمنع عن الوقوع فيما لا ينبغي، وسمي عقلاً ونهية لأنه يعقل ويمنع، و(حصاة) من الإحصاء وهو(الضبط)، قال الفراء: والعرب تقول: إنه لذو حجر، إذا كان قاهراً لنفسه، ضابطاً لها، كأنه أخذ من قولهم: حجرت على الرجل، وعلى هذا سمي العقل حجراً لأنه يمنع من القبيح، من الحجر وهو المنع من الشيء بالتضييق فيه"(31).

وعندما كان الأنبياء الكرام يخاطبون أقوامهم نجد أن العقل هو النعمة الأولى التي كانوا يلفتون أنظارهم إليها، ويستحثونهم لاستخدامها كي توصلهم إلى الحق والهدى، ولينفكوا عما هم فيه من ضلال وشرك وشقاء، فهذا هود عليه السلام يدعو قومه إلى عبادة الله وحده ويلفت أنظارهم إلى عقولهم لينتفعوا بها (وإلى عاد أخاهم هودا، قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره، إن أنتم إلا مفترون، يا قوم لا أسألكم عليه من أجر إن أجري إلا على الذي فطرني، أفلا تعقلون) هود: 51، لأن العقل كاف لإيصالهم إلى الحقيقة التي أرادها هود لقومه.

وهذا موسى يخاطب فرعون وملأه بعد أن قال له فرعون (وما رب العالمين ... قال رب المشرق والمغرب وما بينهما إن كنتم تعقلون) الشعراء: 23–28.

ورد القرآن على الذين اتبعوا آباءهم مقلدين (وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا، أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون) البقرة: 170، وخاطب الله سبحانه رسوله محمد صلى الله عليه وسلم ويدعو قومه ليتفكروا بعقولهم: (قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا، ما بصاحبكم من جنة) سبأ: 46، ونعى على الكفار الذين لا يستجيبون للحق بقوله: (ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاءً ونداءً صم بكم عمي فهم لا يعقلون) البقرة: 171.

وبهذه النصوص وغيرها الكثيرة الواردة في القرآن يتضح لنا أن استعمال العقل والانتفاع به بطريقة صحيحة هو أول معيار من معايير الرقي الإنساني، وأن تعطيله يعني انحطاط عن مستوى الإنسانية إلى مستوى الدواب الخالية من العقل والتفكير الموصل إلى الحق(32)، بل شر الدواب فوق المعمورة ومن هنا سيعترف – هذا الصنف من البشر يوم القيامة – بهذه الحقيقة (وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب الجحيم، فاعترفوا بذنبهم فسحقاً لأصحاب السعير) الملك: 10–11

وكما أن استعمال العقل والانتفاع به يوصل إلى سعادة الآخرة والوصول إلى الحق، كذلك فإن استعماله في عمارة الأرض والقيام بالاستخلاف وتحقيق الحضارة المادية، يحقق السعادة الدنيوية والارتقاء المادي والإبداع البشري، من صناعات وابتكارات، تريح الإنسان وتحقق مصالحه وتعينه على تحقيق دوره في الحياة، وكلما بذل الإنسان من جهد في استعمال عقله وجاهد ونقب، كلما وصل إلى حقائق واكتشف سنن الله في هذا الوجود، وانتفع بهذه المنحة الربانية التي ميزه الله بها، "لأن الرقي الذهني إنما يأتي من الجهد المبذول، واستعمال هذا الجهاز الجبار(العقل والدماغ) الذي لا يعرف الكلل أو الملل،إن الدماغ لا يعرف التعب حتى لو عمل ما يزيد على عشر ساعات متواصلة، وإنما الذي يتعب هو البدن والقعود بكيفية معينة، ولذا فإن العباقرة والفلاسفة والعظماء المفكرين إنما تكونت مواهبهم من استعمال هذه القدرات الدفينة، وهذه الطاقات الكامنة ... ولذا فإننا نقرر حقيقة أساسية عرضها القرآن الكريم بشكل مثير، وهي أن في مقدور الإنسان أن يصل إلى درجة هائلة من الرقي، ولكن هذا إنما يتم ببذل الجهد ... وذلك من مزيج ذكريات الإنسان تحصل تفاعلات معقدة جداً، ومن العقل الواعي المتدبر تستنبط علاقات جديدة وأفكار باهرة، قال تعالى: (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا، وإن الله لمع المحسنين) العنكبوت: 69"(33).

المطلب الثاني: المعيار العاطفي والنفسي

يتميز الإنسان بعواطفه النبيلة ونفسه الخاصة، وقلبه الذي يشع بالمشاعر والعواطف الراقية التي تظهر على حركاته وتصرفاته وأفعاله المطلقة، ولا يستطيع حجبها عن قسمات وجهه التي تظهر ما في قلبه من عواطف وحالته النفسية.

فالمشاعر والعواطف النبيلة الإنسانية التي أكرم الله بها الإنسان كثيرة، مثل –الرحمة، والمحبة، والاحترام، وتقدير الآخر، واعتبار القيم والمبادىء والأخلاق...–،" أغنى وأعقد وأكثر تنوعاً من الانفعالات الحيوانية"(34)، وكلما زادت وقويت هذه العواطف والمشاعر في قلب الإنسان، كلما ارتقى وسما في رقيه البشري، وكلما تضاءلت عند الإنسان كلما ارتكس وانحط إلى الأدنى.

فالإنسان يتميز بقلب هو مركز الإشعاع للعواطف والحالات النفسية التي تعتري الإنسان، وفيه مركز الصلاح والفساد، وفي الحديث الشريف (ألا وإن في الجسد مضغة، إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب)(35)، وعلق ابن حجر على الحديث بقوله "وخص القلب بذلك لأنه أمير البدن، وبصلاح الأمير تصلح الرعية، وبفساده تفسد، وفيه تعظيم قدر القلب والحث على صلاحه"(36)، ويعتبر القلب الواسطة بين الإنسان وربه، والعلاقة بين الله والعبد، تتم من خلاله (إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم)(37). قال النووي "إن الأعمال الظاهرة لا يحصل بها التقوى، وإنما تحصل بما يقع في القلب من عظمة الله وخشيته ومراقبته، ومعنى نظر الله هنا ،مجازاته ومحاسبته ،أي إنما يكون ذلك على ما في القلب دون الصور الظاهرة "(38)، ومن هنا كان القلب محط نظر الله سبحانه من ابن آدم، لأنه الأداة التي تقربه من الله، " فشرف الإنسان وفضيلته التي فاق بها جملة أصناف الخلق باستعداده لمعرفة الله سبحانه، التي هي في الدنيا جماله وكماله وفخره، وفي الآخرة عدته وذخره وإنما استعد للمعرفة لا بجارحة من جوارحه، والقلب هو العالم بالله، وهو المتقرب إلى الله وهو العامل لله، وهو الساعي إلى الله، وهو المكاشف بما عند الله ولديه، وإنما الجوارح أتباع وخدم وآلات يستخدمها القلب ويستعملها

استعمال المالك للعبد، واستخدام الراعي للرعية والصانع للآلة"[39] وفي النظم الكريم (إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد) ق: 37. فالقرآن يخاطب الإنسان الذي حافظ على قلبه من الفساد، أما من عطل هذه الآلة وأفسد هذا الجهاز فلا يستحق هذا الخطاب (ولو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم، ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون) الأنفال: 23، "والمشاعر الدينية العميقة، هي إحدى العواطف النبيلة عند الإنسان، كالمحبة والتسامح والألفة، والتي تغني بعضها من بعض، وتتناغم في تكوين سلوك الفرد وطبعه الخير، كنقيض للدوافع التدميرية، وقد رافقت المشاعر الدينية العميقة تشكيل انفعالات الإنسان ووعيه، وامتزجت بها منذ تكونت وتجلت"[40]، والقرآن أشار إلى استغلال هذه المشاعر البشرية التي تتجلى فيها إنسانية الإنسان، عندما خاطب الناس كلهم بقوله: (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا، إن أكرمكم عند الله أتقاكم) الحجرات: 13، والتعرف لا يتم إلا عبر أدواته المتمثلة بحواس الإنسان المعروفة، وبهذا أقر القرآن بأن الله سبحانه عندما أبدع الإنسان، وضع فيه أدوات المشاعر والعواطف لتكون سبباً للتعارف والتمازج والتآلف ولأسباب تتجلى فيها حكمة الخالق، وبهذا ميزه عن الحيوانات التي لا أفق لديها أعلى من الكلأ والمرعى والشهوة والرتع في الأرض.

ومن هنا نجد تكريم الله للبشر (ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا) الإسراء: 70، ودعا إلى الرحمة وجعلها هدفاً للرسالة المهداة (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) الأنبياء: 107، حتى تشمل هذه الرحمة عامة المخلوقات، المسلم والكافر والحيوان والنبات، فلا غرو إذن عندما نقول بأن الإنسان متميز منفرد في هذه الخاصية، بل تعتبر ركناً أساسياً في إنشاء الحضارة الإنسانية عبر تاريخه على الأرض.

وعندما يعطل الإنسان أدوات التلقي ومنافذ النفس الإنسانية – ومن بينها وأهمها القلب –حينئذ يستحق أن لا يوصف بالوصف الإنساني، (ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس، لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها، أولئك كالأنعام، بل هم أضل، أولئك هم الغافلون) الأعراف: 179.

قال الإمام الرازي عند هذه الآية: "الإنسان وسائر الحيوانات متشاركة في قوى الطبيعة الغاذية والنامية والمولدة، ومتشاركة أيضاً في منافع الحواس الخمس الباطنة والظاهرة، وفي أحوال التخيل والتفكر والتذكر، وإنما حصل الامتياز بين الإنسان وبين سائر الحيوانان في القوة العقلية والفكرية التي تهديه إلى معرفة الحق لذاته، والخير لأجل العمل به ،فلما أعرض الكفار عن اعتبار أحوال العقل والفكر ومعرفة الحق والعمل بالخير، كانوا كالأنعام (بل هم أضل)، لأن الحيوانات لا قدرة لها على تحصيل هذه الفضائل ،والإنسان أعطي القدرة على تحصيلها، ومن أعرض عن اكتساب الفضائل العظيمة مع القدرة على تحصيلها، كان أخص ممن لم يكتسبها مع العجز عنها"[41].

وهذا النص يضع النقاط على الحروف ويجزم – بأن معيار الرقي عند الكائن البشري – هو استخدام حواسه، ليصل بها إلى إدراك الخير من الشر، والتمييز بين الأشياء، وفي حالة إهمالها وعدم الانتفاع بها، فإنه يرتكس إلى درجة الدواب البهيمية[42].

وقد نعى على الكافرين الذين خلت قلوبهم من مشاعر الإنسانية تجاه مخالفيهم (كيف وإن يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم إلاً ولا ذمة يرضونكم بأفواههم وتأبى قلوبهم وأكثرهم فاسقون) التوبة: 8، والإسلام عندما جاء لم يكتف

بفطرة الإنسان كرصيد لهذه العواطف والمشاعر، بل عمد إلى إذكائها في النفس، وتنميتها وتأصيلها في النفس، وشجع عليها، وجعل مقابل ذلك الأجر العظيم في الآخرة.

وذلك لأن هذه العواطف – كما ذكرنا – تنبع من القلب، لتتدفق على الأعضاء حركات وتصرفات، وهي تنمو في النفس الإنسانية كما ينمو النبات ويترعرع حتى يبلغ قمته (والمحيط العائلي هو البيئة الخصبة التي تنمو فيها المشاعر والعواطف الإنسانية والاجتماعية، ودفء المحيط الفطري والطبيعي– الذي يوفره الأبوان– يمنح الهدوء والطمأنينة للطفل، فحينما نريد إثارة مشاعر شخصين تجاه بعضهما، نتوسل القول أن أبناء الشعب الواحد إخوة أو نقول: بأن أبناء البشر تربطهم علاقة الأخوة، وهم أفراد عائلة واحدة، والقرآن الكريم يشبه المشاعر الإيمانية الطاهرة بالمشاعر الأخوية (إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم، واتقوا الله لعلكم ترحمون) الحجرات: 10(43).

وتذييل الآية الكريمة بقوله سبحانه (لعلكم ترحمون) يلفت نظر المؤمن إلى سنة إلهية ثابتة، وهي أن نشر الرحمة والمحبة ونزع فتيل الخلاف والقتال بين الإخوة سبب من أسباب تنزل الرحمة الإلهية على العباد، وأن من يرفع الشقاق والحقد والخلاف – الذي يجفف منابع الرحمة والمشاعر النبيلة بين الناس – يتعرض لرحمة الله سبحانه وكقوله تعالى: (وإن تعفوا وتصفحوا وتغفروا فإن الله غفور رحيم) التغابن: 14.

وهناك أحاديث نبوية كثيرة تشير إلى هذه السنة الثابتة، كقوله صلى الله عليه وسلم: (الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا أهل الأرض يرحمكم من في السماء)(44)،قال صاحب "عون المعبود) " أي لمن في الأرض من آدمي وحيوان لم يؤمر بقتله بالشفقة عليهم والإحسان إليهم"(45) وهو ربط عجيب بأن يجعل رحمة الله منوطة بتراحم العباد فيما بينهم ،حتى الحيوانات، وحصر الرحمة على من اتصفوا بهذه الصفة وكانت لهم سجية وطبعاً (...وإنما يرحم الله من عباده الرحماء)(46)، قال ابن حجر "ومقتضاه أن رحمة الله تختص بمن اتصف بالرحمة وتحقق بها، بخلاق من فيه أدنى رحمة، لكن ثبت في حديث عبد الله بن عمر (الراحمون يرحمهم الرحمن) والراحمون جمع راحم ،فيدخل كل من فيه أدنى رحمة"(47). وجاء هذا الاستثناء ليحصر الرحمة على هذه الفئة، ثم نفى الرحمة تماماً عن الذي لا يرحم العباد (من لا يرحم لا يرحم)(48).

حتى أن الرحمة والمسامحة من البائع والمشتري أثناء التجارة جعلها الإسلام سبباً لنزول رحمة الله، ففي الحديث (رحم الله رجلاً سمحاً إذا باع وإذا اشترى وإذا اقتضى)(49)، ومن هنا كانت "الرحمة سبباً واصلاً بين الله وبين عباده، بها أرسل إليهم رسله وأنزل عليهن كتبه وبها هداهم وبها أسكنهم دار ثوابه وبها رزقهم وعافاهم"(50).

وهكذا نرى الإسلام حرص كل الحرص على صناعة مجتمع يشع بالعواطف والرحمة والمحبة، وربط ذلك بعبادة الله، وجعلها سبباً لرحمته ودخول الجنة، وليس منشأ العواطف القرابة ووحدة والدم فقط، بل إن المحيط الأخوي المفعم بالمحبة. ولو زالت مشاعر الأخوة النابعة من الجو العائلي، والمليء بالنقاء والمحبة، فهل يستطيع أفراد المجتمع أن يوفر القليل من الروابط العاطفية فيما بينهم؟

يقال: إن العدالة تنتشر في أوروبا بصورة واسعة، بينما لا أثر للعواطف الإنسانية النبيلة لدى المجتمعات هناك إلا القليل النادر جداً، ولا يلاحظ مثل هذه العواطف إلا نادراً بين الإخوة والأبناء والآباء، وعلى عكس ما هو موجود عند الشرقيين، والسبب هو أن هذه العواطف لا تنمو إلا في جو عائلي مفعم بالصفاء والإخلاص والمحبة بين أفراد العائلة، وفي أوروبا لا وجود لمثل هذه الخصال بين النساء وأزواجهن(51)، وعلة ذلك عدم وجود حدود للعلاقات

الجنسية عند المرأة الأوروبية وزوجها، فكلاهما لا يجد شيئاً في إيجاد علاقات جنسية مع الغرباء خارج نطاق الحياة الزوجية، وأقلها نيل متع الجنس عن طريق النظر واللمس في وسط المجتمع الكبير"(52).

وبنظرة واحدة إلى المجتمع الذي بناه الإسلام وبث فيه المشاعر الإنسانية، وجعل الرحمة سمته البارزة نرى الفرق الهائل بينه وبين غيره من المجتمعات التي قامت حضارتها على المادة وحدها، فكانت مجتمعات خاوية من المعاني الإنسانية، ومتى فقد المجتمع هذه المعاني فقد الإنسان حضارته وإنسانيته وأسباب سعادته الحقيقية، وارتد إلى تخلف حضاري، هو أقرب إلى الحيوانية، وربما هبط إلى أسفل سافلين.

المطلب الثالث: ضابط الغاية والهدف من الوجود الإنساني

والهدف من الوجود الإنساني في الأرض واضح في القرآن بنصوص قاطعة الدلالة، وقد حدد الله سبحانه هذه الغاية منذ أن توجهت الإرادة الإلهية لخلق آدم (وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة، قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الماء، ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك، قال إني أعلم ما لا تعلمون) البقرة: 30، وهذه الغاية تتحقق بوجود عنصرين اثنين:

الأول: الاستخلاف وعمارة الأرض

ومعلوم أن الله سبحانه خلق الإنسان في الأرض واستخلفه فيها، وطلب منه أن يؤدي وظيفة فيها، حسب المنهاج الذي رسمه الله تعالى له (إني جاعل في الأرض خليفة)، وقد وهب الله هذا الكائن من الطاقات الكامنة والاستعدادات المذخورة ما يحقق المشيئة الإلهية، وقد وعد الله المؤمنين الصادقين الاستخلاف والتمكين في الأرض، فقال سبحانه:(وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم، وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا،يعبدونني لا يشركون بي شيئا، ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون) النور: 55.

وحقيقة الاستخلاف ليست مجرد الملك والقهر والغلبة والحكم، وإنما هذا كله على شرط استخدامه في الإصلاح والتعمير والبناء، وتحقيق المنهج الذي رسمه الله للبشرية كي تسير عليه، وتصل عن طريقه إلى مستوى الكمال المقدر لها في الأرض، اللائق بخليفة أكرمها الله. إن الاستخلاف في الأرض قدرة على العمارة والإصلاح، لا على الهدم والإفساد، وقدرة على تحقيق العدل والطمأنينة، لا على الظلم والقهر، وقدرة على الارتفاع بالنفس البشرية والنظام البشري، لا على الانحدار بالفرد والجماعة إلى مدارج الحيوان، وهذا الاستخلاف الحقيقي لا يمكن أن يتحقق إلا من خلال التمكين للدين، وتمكين الدين يتم في القلوب، كما يتم تمكينه في تصريف الحياة وتدبيرها، فقد وعد الله المؤمنين أن يستخلفهم في الأرض، وأن يجعل دينهم الذي ارتضى لهم هو المهيمن على الأرض، ودينهم يأمر بالإصلاح، ويأمر بالعدل، ويأمر بالاستعلاء على شهوات الأرض، ويأمر بعمارة هذه الأرض، والانتفاع بكل ما أودعها الله سبحانه من ثرة ومن رصيد، مع التوجه بكل نشاط فيها إلى الله.

الثاني: العبادة (بمفهومها الخاص)

وعنصر العبادة هو أساس ومكمل لعنصر الاستخلاف، فالعبودية والعبادة غاية مهمة أرادها الله من خلق الإنسان، قال سبحانه: (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) الذاريات: 56، فما دام هناك رب يعبد لا بد من وجود عبد يعبد"(53)، "ومدلول العبادة واسع وشامل، ويتمثل في أمرين رئيسيين:

1- استقرار معنى العبودية لله سبحانه في النفس، أي استقرار الشعور على أن هناك عبداً ورباً، وأن وراء ذلك شيء.

2- التوجه إلى الله بكل حركة في القلب، وكل حركة في الجوارح، وكل حركة في الحياة، التوجه بها إلى الله خالصة والتجرد من كل شعور آخر، بهذا وذلك يتحقق معنى العبادة، ويصبح العمل كالشعائر، والشعائر كعمارة الأرض، وعمارة الأرض كالجهاد في سبيل الله، والجهاد في سبيل الله كالصبر على الشدائد والرضى بقدر الله ... كلها عبادة، وكلها تحقيق للوظيفة الأولى التي خلق الله الجن والإنس لها ... وحين يرتفع الإنسان إلى هذا الأفق، أفق العبادة، أو أفق العبودية، ويستقر عليه، فإن نفسه تأنف حتماً من اتخاذ وسيلة خسيسة لتحقيق غاية كريمة، ولو كانت هذه الغاية هي نصر دعوة الله وجعل كلمته هي العليا،... ثم يستمع العبد العابد براحة الضمير، وطمأنينة النفس، وصلاح البال في جميع الأحوال، سواء رأى ثمرة عمله أم لم يرها، تحققت كما قدرها أم على عكس ما قدرها، فهو أنهى عمله وضمن جزاءه عند تحقق معنى العبادة واستراح ... وهكذا تتجلى جوانب من تلك الحقيقة الضخمة الهائلة، التي تقررها آية واحدة قصيرة (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) الذاريات: 56، وهي كفيلة بأن تغير وجه الحياة كلها عندما تستقر حقاً في الضمير"(54).

وحين يشعر الإنسان بغاية وجوده على الأرض، وأنه مخلوق لهدف وغاية، تنتفي من قلبه فكرة العبثية من وجوده (أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون، فتعالى الله الملك الحق لا إله إلا هو رب العرش الكريم) سورة المؤمنون: 115-116، واستقرار هذه النظرة في ضمير الفرد لها قيمتها الكبيرة في عالم الشعور الإنساني، وفي واقع حياته، ولها أثرها البالغ حين توجهه نحو الحضارة البشرية توجهاً سليماً صحيحاً،وفي اتجاهه نحو صلاح الأرض وعمارتها، والعمل لصالح البشرية جمعاء،"ويومئذ يكون هذا الإنسان كامل الحضارة، ويكون هذا المجتمع قد بلغ قمة الحضارة، فأما الإبداع المادي وحده فلا يسمى في الإسلام حضارة"(55).

وينشأ – عن استقرار هذه الحقيقة – في ضمير المسلم، الإحساس بكونه أميناً مستأمناً على هذه الأرض وما عليها من مخلوقات، ليسير بها في الاتجاه الصحيح الذي خلقت من أجله، ولا يسخرها للفساد والدمار وتحقيق مآرب الشيطان، فهي مسئولية عظيمة وأمانة ضخمة ملقى على عاتق هذا الإنسان، وسيسأل عنها أمام الله سبحانه.

قال تعالى: (إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان، إنه كان ظلوماً جهولا) الأحزاب: 72، قال الإمام الشاطبي رحمه الله – بعد أن أورد قوله تعالى: (وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقاً نحن نرزقك والعاقبة للتقوى) طه: 132."كل ذلك ليتفرغوا لأداء الأمانة التي عرضت عليهم عرضاً، فلما تحملوها على حكم الجزاء، حملوها فرضاً، ويا ليتهم اقتصروا على الإشفاق والإبانة، وتأملوا في البداية خطر النهاية، لكنهم لم يخطر لهم خطرها على بال، كما خطر للسماوات والأرض والجبال، فلذلك سمي الإنسان ظلوماً جهولا، (وكان أمر الله مفعولا) الأحزاب: 37"(56)، ولا شك أن الاستشعار بحمل أمانة كبيرة – مثل هذه الأمانة – يخلق ثقة في النفس وشعوراً لا يضاهى، فيدرك الإنسان حينها بأنه مخلوق لغاية كريمة، وليس متروك هملاً، كما يدرك الفارق بينه وبين المخلوقات التي دونه، ورقيه عنها في الهدف والغاية من الوجود.

المبحث الرابع: العقيدة وأثرها في بناء الإنسان ورقيه البشري

المطلب الأول: الإيمان بالله وأثره في رقي الإنسان وبنائه الحضاري

قال تعالى: (أومن كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها) الأنعام: 122

وما من شيء يمكن أن يصف حقيقة المؤمن بالله والكافر به ما تصفه هذه الآية، فالمؤمن حي والكافر ميت، وهذه هي الحقيقة التي يعرضها القرآن الكريم، ويعرفها كل من خاض تجربة الكفر بالله سبحانه ثم نور الله قلبه بالإيمان به، فأصبح يدرك حقائق الأشياء بطبيعتها، وينطلق في الحياة بنور يكشف به الطريق أمامه، كما يكشف النفس البشرية على حقيقتها وبأنواعها المختلفة وبمسارها المتشعبة.

والموت هو الوصف الدقيق لطبيعة الكافر في الحياة، لأنه انطماس في أجهزة الإنسان الفطرية، فلم تعد تدرك الأشياء على حقيقتها، ولم تعد تؤدي دورها في الحياة، لتقوم بوظيفتها التي خلقت من أجلها. فهو موت.

وقد عرض الأستاذ سيد مقارنة عميقة ومؤثرة بين صورة الإيمان وحقيقته ، وأثرة على النفس المؤمنة ،وبين صورة الكفر وظلمته وأثره في النفس الكافرة، ويمكن تلخيصه في النقاط الآتية:

1- عقيدة الإيمان تنشىء في القلب حياة بعد الموت، بينما الكفر انقطاع عن الحياة الحقيقية الأزلية، وبالتالي انطماس في أجهزة الاستقبال والاستجابة الفطرية.

2- الإيمان تفتح ورؤية وإدراك واستقامة، فهو نور، بينما الكفر حجاب للروح عن الاستشسراق والاطلاع وختم على الجوارح والمشاعر، وتيه وضلال، فهو ظلمة.

3- الإيمان انشراح ويسر وطمأنينة وظل ممدود ،بينما الكفر انكماش وتحجر، وهو ضيق وشرود، فهو عسر وحرمان وقلق.

4- الإيمان بالله صلة الفرد الفاني بالأزل القديم والأبد الخالد، وصلة بموكب الإيمان والأمة الواحدة الضربة في جذور الزمان، والموصولة على مدار الزمان، وبالتالي ثراء في الروابط والوشائج ،بينما الكفر منقطع الصلة بخالق الوجود، لا تربطه به إلا روابط هزيلة من وجوده الفردي المحدود، في الحدود التي تعيش فيها البهيمية.

وحين يجد الإنسان هذا النور في قلبه يرى مشهد التناسق الشامل العجيب في طبيعة هذا الدين وحقائقه، فيبدو متناسقاً حياً يتجاوب مع الفطرة، وتتجاوب معه في ألفة عميقة، وفي علاقة وثيقة وفي حب ودود، فتتكشف له حقائق الوجود، وحقائق الأحداث التي تجري في هذا الكون، كما يجد تفسير الأحداث والتاريخ في نفسه وعقله وفي الواقع من حوله، كأنه يقرأ كتاب(57).

وهكذا لا يبقى عامل واحد من عوامل رقي الإنسان وسموه إلا ويصنعه هذا الإيمان، ولا نجد – من خلال هذه الدراسة- سبباً واحداً من أسباب رفعة الإنسان وانطلاقه في الحياة من القيود الكثيرة إلا نراه في أبهى صورته كأثر من آثار الإيمان بالله .

وبالتالي سينطلق في الحياة إلى الأمام باتجاه العمل والفاعلية والإيجابية في حياته، والحيوية والنشاط في بناء نفسه، وتغيير الواقع إلى واقع يخدم فيه الأمة التي يعمل من خلالها، كما يخدم البشرية كلها في مختلف نواحي الحياة، فيغدو بهذا الارتقاء شخصية متميزة بين الناس، كشهاب متلألىء في ليلة ظلماء، ومنارة يهتدي بها السالكون.

فلا ينحصر أثر الإيمان على الفرد نفسه، بل يتعداه إلى غيره، ممن يعيش معه في مجتمعه، بل إلى البشرية جمعاء، (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين).

ومن هنا الخطورة البالغة – على البشرية وارتقائها – أن تتعرض عقيدة التوحيد إلى التحريف والتبديل والتغيير، كما حصل مع اليهود والنصارى، فما الذي حصل من جراء التحريف والتغيير، الذي تعرضت له الكتب السماوية في العقيدة الربانية، " لقد حصل الشقاء الذي نعانيه وتعانيه البشرية كلها اليوم، لقد أدخل رجال الدين اليهودي والنصراني كلاماً من عند أنفسهم، وهذا ما صرح به القرآن الكريم،(فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلا) البقرة: 79،...وأخذت الكنيسة تبحث عن علماء الفلك والجغرافيا، الذين أعلنوا اكتشافاتهم العلمية، فأنشأت محاكم التفتيش، فاختبأ العلماء – الذين هم ملحدون في نظر الكنيسة – في الغابات والمغاور، وعاقبت من النصارى الذين يحملون هذه الآراء...،وكان منهم العالم الطبيعي (برنو) سنة 1600م، وكذلك العالم الطبيعي الشهير (جاليلو) سنة 1642م، لأنه يعتقد بدوران الأرض، وعذبت كوبرنيكس"(58).

وبهذه التحريفات وبهذه المواقف من قبل الكنيسة انتشر الإلحاد في الأرض، وشقيت الأجيال، وانهدمت الأخلاق، وعادت أوروبا وأمريكا في جاهليتها وانحطاطها الأخلاقي إلى عصر التخلف، ليس من جهة التطور المادي، ولكن من جهة انهيار المنظومة الأخلاقية البشرية، التي لا يمكن لحضارة بشرية أن تقوم أو تستمر بدونها، بل إن الإنجازات الحضارية المادية الكبيرة التي أنجزتها الحضارة الغربية مهددة بالضياع بسبب تخبطات أهلها، أو استخدامها في تدمير البشرية برمتها(59)، ومن يتابع الأحداث التي حدثت في الحربين العالمية الأولى والثانية، وفي الحروب التي يصطنعها الغرب –والتي لا تكاد تهدأ– يدرك مدى سوء استخدام ما أبدعه العقل البشري.

"هذه الحضارة الغربية المعاصرة التي ما استوت على قدميها إلا على أساسين اثنين:

الأول: الفلسفة اليونانية المادية الوثنية.

الثاني: العداء للدين والحقد على رجاله،– كما ذكرنا بسبب مواقف الكنيسة – وتنحيته بعيداً عن الهيمنة على شئون الحياة وتوجيهها.

وعلى هذين الأساسين، وفي ظلهما نمت وترعرعت جميع المذاهب الفلسفية والأخلاقية التي سيطرت على عقول المفكرين والموجهين لتلك الحضارة والقائمين فيها، ولما كنا نعتقد اعتقاداً جازماً لا يتطرق إليه الشك، بأن خلاص المجتمع المعاصر والإنسانية عامة – من الآلام والأمراض التي تعانيها بماديتها ووثنيتها وعقائدها الفاسدة، وأفكارها الخبيثة المنحلة، – لن يكون إلا أن يتسلم الإسلام زمام الأمر، ومن خلال بعث إسلامي معاصر"(60).

المطلب الثاني: الإيمان باليوم الآخر وأثره في رقي الإنسان وتحضره

الإيمان باليوم الآخر من العقائد التي لم يكن من السهل –على أنبياء الله والدعاة من بعدهم – إقناع الناس بها، فهم يعجبون من عودة الأرواح إلى الأجساد مرة أخرى، ليوم يحاسب فيه كل إنسان على ما قدم، (وقال الذين كفروا هل ندلكم على رجل ينبئكم إذا مزقتم كل ممزق إنكم لفي خلق جديد، أفترى على الله كذباً أم به جنة، بل الذين لا يؤمنون

بالآخرة في العذاب والضلال البعيد) سبأ: 7-8 ، ولا يزال هذا العجب والغرابة والإنكار والاستهتار – في هذه الحقيقة البدهية – إلى يومنا هذا، فمن رافض لها ابتداءً، ومن مستهتر بها وكأن الأمر لا يعنيه، ومن غارق في أوهامه وظنونه، ويتمنى على الله الأماني، فيحسب الآخرة له من دون الناس، دون أن يقوم بمقتضياتها وما يتطلبه هذا الإيمان.

"والذي يعيش بلا عقيدة الإيمان باليوم الآخر يعيش في عذاب نفسي، لا أمل له ولا رجاء في نصفة ولا عدل ولا جزاء ولا عوض عما يلقاه في الحياة، وفي الحياة مواقف وابتلاءات لا يقوى الإنسان على مواجهتها، إلا وفي نفسه رجاء الآخرة وثوابها للمحسن وعقابها للمسيء، وإلا ابتغاء وجه الله والتطلع إلى رضاه في ذلك اليوم الآخر، الذي لا تضيع فيه صغيرة ولا كبيرة، وإن تكن مثقال حبة من خردل... والذي يحرم هذه النافذة المضيئة الندية المريحة، يعيش ولا ريب في العذاب كما يعيش في الضلال، يعيش فيها وهو حي على هذه الأرض قبل أن يلقى عذاب الآخرة، جزاءً على هذا العذاب الذي لقيه في الدنيا، إن الاعتقاد بالآخرة رحمة ونعمة يهبها الله لمن يستحقها من عباده بإخلاص القلب، وتحري الحق، والرغبة في الهدى"(61).

ولا شك أن الإيمان باليوم الآخر له علاقة وثيقة بحركة الإنسان في الحياة كلها، وله علاقة وثيقة بعلاقته بكل مخلوق حوله، وخاصة من أبناء جنسه، وله علاقة بدافعيته وفاعليته في بناء حضارته الإنسانية، والقيام بواجب الخلافة في الأرض التي وضعها الله سبحانه مسئولية على عاتقه، "فالإنسان مستخلف عابد في هذه الأرض، له أجل محدود قدره الله، وهو يؤمن إيماناً جازماً باليوم الآخر، وأن وراء هذه الحياة حياة أخرى باقية، وكلما ازداد تذكر الإنسان للقاء الله واليوم الآخر، ازداد إحساناً في العمل الصالح الذي يدخره جزاءً عند الله، ومن هنا الربط المستمر في آيات القرآن بين الحياة الدنيا والآخرة،(المال والبنون زينة الحياة الدنيا، والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً وخير أملاً) الكهف: 46، (من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد، ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموماً مدحورا، ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورا) الإسراء: 18- 19 "(62) ويدرك هذه الحقيقة أكثر كل من عاش في الغرب والدول التي ينتشر فيها الإلحاد، يدرك أكثر من غيره مدى تأثير رفض فكرة الإيمان باليوم الآخر على حياتهم ومعيشتهم وعطائهم للآخرين، وأهم من ذلك أثرها البالغ على علاقاتهم الاجتماعية والأسرية.

"والفلسفة المادية في هذا العصر تقوم على أساس أن وجود الإنسان محصور في هذه الحياة الدنيا، محدود بحدودها، فإذا غربت شمس الإنسان بالموت، ضمها ليل دائم فلا تطلع أبدا، وقد قدم الفلاسفة الماديون لهذه الفلسفة منطقاً، يرضى الجانب الجسدي من الإنسان، ويستجيب لمطالب النفس العاجلة، وشهواتها النهمة المسعورة، فاستجاب لهذه الفلسفة كثيرون، وغرقوا في بحار شهواتهم، وناموا في سكرة لا يوقظهم منها إلا طرق الموت يدق عليهم الأبواب، لكن العبد المؤمن يتذكر الموت وما بعده فيلين منه القلب وتشرق منه الروح، فيكون دائم الاستعداد للقاء الله راجياً رحمته، خائفاً من عذابه"(63)، وكذلك الذي يتأمل أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم يجد هذا الربط – بين مواضيع تتعلق بالدنيا وأخرى بالآخرة – في كثير من الأحاديث، (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه)(64)، "والى هذا الربط أشار ابن حجر عند هذا الحديث: أي من آمن بالله الذي خلقه وآمن به بأنه سيجازيه بعمله فليفعل الخصال المذكورة"(65).

وكل إنسان – مهما اختلفت ثقافته ومهما كانت عقيدته للحياة والآخرة – يدرك حتماً أن نهايته الموت المحتم، فله نهاية كما له بداية، والفرق الأساسي والجوهري بين الإنسان المؤمن والكافر هو أن"الإنسان حين يعرف الحياة الدنيا ليست نهاية الأحداث، تعتدل حياته ويستقيم أمره، فلا يتلهف اللهفة المجنونة على متاع الأرض، ولا يدركه اليأس القاتل حين يرى مظالم البشر وانحرافاتهم التي لا حيلة له فيها، مهما حاول وصارع الباطل واستيأس في الصراع، ثم يحس أنها النهاية الأخيرة، وليس وراءها تصحيح للأوضاع الفاسدة ولا رد للمظالم الجائرة، ولا يفسد قلبه ولا إيمانه بالحق والعدل الأزليين. فلا ينحرف في سلوكه وأخلاقه، فلا يظلم ولا يقبل الظلم، ولا يبرر الوسيلة بالغاية ويخشى الله ويتقيه ما دام أنه ملاقيه، فيعمل حساب هذا اللقاء بالتطهر والنظافة من الفساد، لذلك ركز الإسلام على قلب الإنسان، بذكر الآخرة وتصويرها وتجسيم مشاهدها وإبرازها ووصلها بالحياة الدنيا، وتوحيد الطريق من الدنيا إلى الآخرة، وترتيب هذه على تلك، لأن هذا هو المفتاح – الذي يضبط الوتر على ضبطه الصحيح ــ فلا تصدر عنه النغمة النشاز "(66).

المطلب الثالث: أثر الإيمان في استقلال شخصية الأمة الحضارية

والركنان السابقان (الإيمان بالله واليوم الآخر) هما الركنان اللذان يقوم عليهما جميع الأصول والفروع في الإسلام، سواء منها الجانب العقدي أو الجانب التشريعي، ولا يتصور أي أمر أو نهي في الإسلام بمعزل عنهما.

وهما مما يميز الأمة الإسلامية واستقلال شخصيتها الحضارية عن بقية الحضارات البشرية، ومما يجعل لها سماتها الخاصة، وتختلف بهما عن بقية الأمم الأخرى.

والأمة التي تحمل بذور النجاح في مبادئها، وعوامل الترقي في منهجها، لا بد أن تكون مستهدفة من قبل أعدائها وخصومها، لمسخ شخصيتها واستهداف بنيتها الأساسية، للحيلولة دون ارتقائها بين الأمم، فكيف إذا كانت هذه الأمة هي الأمة الإسلامية، التي تحمل أصح العقائد، وأفضل المناهج وأقوى عوامل الرقي والتطور؟!.

ومن هنا كان لا بد من الحفاظ على عقائد الإسلام وأخلاقياته بشكل كامل وتام، وحمايتها من أي هجمات خارجية أو داخلية مغرضة، تحاول النيل من أي جانب من جوانب هذا الدين، حتى لو كان بسيطاً في نظر البعض، لأن هذا الدين لا يتجزأ، ولا يجوز الأخذ ببعضه والاستغناء عن البعض، قال تعالى: (أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض، فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب) البقرة: 85، قال صاحب تفسير المنار عند هذه الآية " والإيمان لا يتجزأ ،فالكفر بالبعض كالكفر بالكل"(67)، وقال سبحانه: (ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئاً قليلا، إذن لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات، ثم لا تجد لك علينا نصيرا) الإسراء: 74-75. قال ابن عباس في قوله(شيئاً قليلا) "يريد حيث سكت عن جوابهم"(68)، وهذا أقل ما يمكن أن يتنازل المسلم فيه عن دينه، وهو السكوت عن الصدع بشيء من الدين، ولو كان قليلاً، فكيف إذا تنازل عنه حقيقة أو تركه ولم يحكم به ،فلا شك أن جريمته أعظم.

وبهذه النظرة الشمولية يقوم الإسلام ويؤدي دوره الريادي والحضاري، ويرتقي بهذه الأمة إلى أعلى درجات الرقي والحضارة البشرية، ويحقق "حماية الذات أمام المطامع الأجنبية والتعاون على تحصيل وسائل التقدم والارتقاء، لأن الأمة التي تهمل وسائل التقدم والارتقاء في العصر الحاضر تحتاج إلى حماية ذاتها، أما المطامع الأجنبية التي تواجه الشعوب الإسلامية، فهي درجات في القوة وفي الخطر، فمنها ما هو مقصور على السيادة والسياسة وما

يتصل بها، من السيطرة على موارد البلاد ومرافقها... ومنها ما يتجاوز السيادة والسياسة وتوابعها إلى السيطرة على العقائد والأخلاق والعادات والنظم الاجتماعية، وهو شر ضروب الاستعمار كافة"(69)، وهذا راجع كله إلى أن "الصراع الحضاري والفكري ظاهرة كونية تعمل على مر الأزمان، واختلاف البيئات، وهو بعض ما يتضمنه قوله تعالى: (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض)البقرة: 251،...

ومن خلال هذه السنة الكونية تتقدم البشرية، فينقل بعضهم عن غيرهم أحسن ما عندهم مما استحدثوه، وتتخلص من عناصر الضعف وعوامل التخلف، التي تتسرب إلى النفوس عبر الأجيال، نتيجة لما تصاب به الجماعات البشرية من التبلد والركود الذي يصاحب الترف، وتعمل هذه الظاهرة الكونية والسنة الإلهية رضي الناس أم كرهوا، راضين بمحض رغبتهم واختيارهم في السلم من آثار المخالطة وتبادل المنافع، أو كارهين مضطرين في أزمان الحرب بتأثر الغزو، والله سبحانه يداول الأيام بين الناس: (وتلك الأيام نداولها بين الناس) آل عمران: 140، فتبدو الأمم في فترة من فترات تاريخها مؤثرة في حال قوتها، بينما تبدو في فترة أخرى متأثرة في حال ضعفها، وإن كانت في حال قوتها لا تخلو من التأثر، وفي حال ضعفها لا تخلو من التأثير، ولكن الناس ليسوا ذلك على سواء، فالأمة القوية المتماسكة لا تأخذ في هذا الصراع إلا ما يثبت كيانها، ويبرز خصائصها التي تتميز بها ذواتها، بينما تأخذ الأمم الضعيفة كل ما يساق إليها مما يضر وما ينفع، ومما يوافق مزاجها ويقوي كيانها، وما يخالف ذلك المزاج ويضعف ذلك الكيان، وينتهي بها الأمر إلى أن تفقد خصائصها التي بها قوامها، ثم تنماع وتذوب أو تضمحل وتفنى بل الغالب على الأمم الضعيفة أن يكون ميلها في هذا الصراع إلى نقل أسوأ ما عند غيرها مما يخالطها، مما تدعو إليه الشهوات، ومما يغري بالراحة والاسترخاء من ألوان الترف، لأنها تستسهله، ولأنها لا تجد في نفسها من الهمة والعزم ما تحتاجه عظائم الأمور من الكفاح وجهاد النفس، وحملها على ما تكره من الدأب والعمل والمغامرة، لذلك أفاد المسلمون من هذا الصراع حين كانوا أمة قوية قاهرة في صدر الإسلام، بينما خسروا في الصراع الذي نقلوا فيه ما نقلوا وقلدوا ما قلدوا من موضع ضعف، يتوهمون فيه أن كل ما عند غيرهم من الغزاة الأقوياء خير مما عندهم"(70)، ورغم ذلك فطبيعة هذا الدين عزيزة، وشخصية "الأمة الاسلامية فيها شبه حصانة أمام السيطرة الأجنبية بأنواعها، سواء منها ما كان مقصوراً على السيادة والسياسة، أو ما كان عاماً شاملاً للعقائد والأخلاق والعادات والنظم الاجتماعية"(71)، بل تجاوزت عظمة هذه الحضارة الإسلامية أبعد من ذلك، فقد "حفظت هذه الحضارة لكل أمة تحضرت بها كياناً قوياً لا يسهل هضمه وإدماجه في كيان آخر أجنبي عنه، وهذا الكيان القوي هو الذي وقف في وجه الاستعمار حيث كان، واستفاد منه المسلمون وغير المسلمين، لأن الاستعمار خطر على الأمم الشريفة جميعاً من كل نحلة، وبغير فارق بين الأديان والأجناس.

وهذه المقاومة القوية هي التي يسميها المستعمرون جموداً من المسلمين في وجه التقدم والارتقاء، وليست هي في الواقع جموداً من هذا القبيل، ولكنها محافظة على الكيان القومي يحميه من أن يقع فريسة سهلة بين براثن المستعمرين، ويستفيد منه ضحايا الاستعمار في مختلف الأقوام والأديان.

ولكن الاستعمار السياسي –على خطره– لا يصيب الأمم في مقاتلها كما يصيبها الاستعمار الذي يشمل العقائد والأخلاق والعادات والنظم الاجتماعية، فإن هذا الاستعمار يصيب الأمة في كيانها الصميم، ولا يبقي لها بعد ذلك شخصية تذود بها خطراً يهددها في حاضرها أو مستقبلها، والأمم الإسلامية أشد الأمم تعرضاً لعداوة هذا الاستعمار،

الذي يعادي جميع الأديان في الواقع، ولكنه يعادي الدين الإسلامي بصفة خاصة، لأنه نظام اجتماعي وآداب معيشية في وقت واحد، وله مبادىء فكرية كالمبادىء التي يسمونها في العصر الحاضر (بالأيدولوجي) تقوم عليها الآداب والعلاقات، كما تقوم عليها عقائد الدين ووجهات النظر إلى أصول الحياة، ولذا كانت كراهية الاستعمار الشيوعي للأمم الإسلامية كراهة مضاعفة، لأنه يجد فيها عقبات في وجه السيادة الأجنبية وعقبات أخرى في وجه العقائد والآداب التي يفرضها عليها مخالفة الدين، ويحاول أن يلغي مبادئها الفكرية والخلقية بمبادىء أخرى تناقضها وتهدمها، ولا تبقي بقية منها صالحة لمقاومة أو متشبثة بكيان"(72)، وربما كانت هذه العقيدة الإسلامية – وما تشتمله من مبادىء وأخلاق – والتي تنبض بالحياة والحيوية والرقي – هي الذنب الذي يلاقيه المسلمون – بسببه– كل أنواع الظلم والحيف والقتل والتشريد والإهمال.

فإذا كان هذا التخلف الحضاري نجده في العصر الحديث – الذي يعتبره الغرب أرقى عصور التقدم البشري–، فكيف بالحضارات التي سبقت الإسلام – كالحضارة الرومانية مثلاً –، "فقد فرقت في الحقوق حسب الجنس، ومكان السكن بين سكان روما وسكان سائر إيطاليا، ثم بين الرومان وسائر رعايا البلاد المفتوحة، وبين الذين خضعوا للإمبراطورية ومن كانوا خارجها الذين دعتهم (برابرة)، وأما حضارة الإسلام فقد زالت الحواجز والمسافات بين البشر وعلى الأرض، سواءً بسواء)(73)، (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا، إن أكرمكم عند الله أتقاكم، إن الله عليم خبير) الحجرات: 13، وهذه التفرقة لم تتخلص منها أوروبا وأمريكا إلى هذا العهد، فلا زال التمييز واضحاً بين السود والبيض حتى اليوم.

فالغرب وبقية الأمم التي تدير دفة العالم وبيدها مقاليد الشعوب، لا نرى منهم العدل تجاه قضايا المسلمين، وما تلاقيه الشعوب الإسلامية في شتى بقاع المعمورة لا يخفى على أحد يملك سمعه وبصره.

ولا نكون قد ابتعدنا عن الموضوعية إذا قلنا إن أسباب الهجمة الشرسة على الإسلام وأهله من قبل الغرب والشرق، هو طبيعة العقيدة الإسلامية وما لديها من قدرة كبيرة وفعالة في صياغة الشخصية الراقية والمتحضرة واستقلاليتها، سواء على مستوى الفرد أو الجماعة أو المجتمع بأسره.

أما استقلال شخصية الجماعة والمجتمع فقد ذكرنا طرفاً منه، وأما استقلال شخصية الفرد فهو ناشىء من عدة اعتبارات، منها أن الإسلام يعتبر جانب العقيدة قضية اقتناع بعد البيان، وليست قضية إكراه وإجبار، (لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي) البقرة: 256، (وفي هذا المبدأ يتجلى تكريم الله للإنسان، واحترام إنسانيته وإرادته وفكره ومشاعره، وترك أمره لنفسه فيما يختص بالهدى والضلال في الاعتقاد، وتحميله تبعة عمله وحساب نفسه، وهذه هي أخص خصائص التحرر الإنساني، التحرر الذي تنكره على الإنسان في القرن العشرين مذاهب متعسفة ونظم مذلة، ولا تسمح لهذا الكائن الذي كرمه الله باختيار عقيدته أن ينطوي ضميره على تصور للحياة ونظمها، غير ما تمليه عليه الدولة بشتى أجهزتها التوجيهية، وما تمليه عليه بعد ذلك بقوانينها وأوضاعها، فإما أن يعتنق مذهب الدولة... وإما أن يتعرض للموت بشتى الوسائل والأسباب. إن حرية الاعتقاد هي أول حقوق الإنسان التي يثبت له بها وصف (إنسان)، فالذي يسلب إنساناً حرية الاعتقاد، إنما يسلبه إنسانيته ابتداءً... والإسلام – وهو أرقى تصور للوجود وللحياة وأقوم منهج للمجتمع الإنساني بلا مراء – هو الذي ينادي بأن (لا إكراه في الدين)، وهو الذي يبين

لأصحابه قبل سواهم أنهم ممنوعون من إكراه الناس على هذا الدين، فكيف بالمذاهب والنظم الأرضية القاصرة المتعسفة، وهي تفرض فرضاً بسلطان الدولة"(74).

الخاتمة والنتائج:

بعد أن استكمل هذا البحث بعون الله سبحانه، خلص الباحث إلى النتائج والتوصيات الآتية:

أولاً : النتائج

1- الإنسان هو موضوع هذا الدين، وقد أراد الله سبحانه – بهذا الدين – أن يحافظ على خصائصه الإنسانية، وهو تكريم علوي جليل.

2- الإنسان يختلف اختلافاً واضحاً عن بقية المخلوقات التي تدب على الأرض، من حيث أصل الخلقة، وما يمتاز به من عقل ومشاعر نبيلة وذكية.

3- معايير حضارة الإنسان – في نظر الإسلام– تختلف عن معايير الحضارة المادية الحديثة.

4- الطريق إلى الرقي البشري يبدأ من الإيمان بالله وبما أنزل الله من أوامر ونواهي، والالتزام بها.

5- بقدر ما أنجزته الإنسانية اليوم من حضارة مادية، بمقدار ما يشعر البشر بالإفلاس في عالم القيم والمشاعر الإنسانية.

6- الإسلام– وحده –هو الذي يمتلك المعايير الصحيحة والثابتة للارتقاء بالإنسان، والمحافظة على ما يبقيه في دائرة البشرية، والمعايير الثابتة هي (المعيار العقلي، المعيار العاطفي والنفسي، معيار الغاية والهدف من الوجود الإنساني).

ثانياً: التوصيات

1. رغم أن كثيراً من العلماء والباحثين تناولوا الجانب الإنساني في الإسلام، إلا أنه لا زال بحاجة إلى جهد كبير في هذا الموضوع ليوفوه حقه.
2. آن الأوان لنبرز للعالم كله حقيقة لا بد من الاعتراف بها، وهي أن الإسلام هو الحضارة.
3. لا بد من بذل الجهود لإقناع الأجيال المسلمة ،بأننا حينما نطبق هذا الدين على أنفسنا، نكون قد وصلنا إلى قمة الحضارة البشرية،حتى لا تخدع الأجيال بالحضارات المستوردة.

الهوامش والحواشي:

(1) بن منظور/ محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي جمال الدين أبو الفضل (لسان العرب)، وتعريف (المعيار) نقله ابن منظور عن (الليث)، الناشر: طبعة دار صادر، بيروت، ج623/4.

(2) مجمع اللغة العربية،(المعجم الوسيط)، الناشر: مكتبة الشروق الدولية، الطبعة الرابعة، ص639.

(3) عمر، د. أحمد مختار عبد الحميد، بمساعدة فريق عمل،معجم اللغة العربية المعاصرة، الناشر: عالم الكتب، الطبعة الأولى 1429هـ، 2008م، (ج2/ 1582).

(4) المطرزي، ناصر بن عبد السيد أبي المكارم بن علي أبو الفتح (برهان الدين الخوارزمي المطرزي)، (المغرب في ترتيب المعرب)، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، بدون طبعة، ص 334.

(5) مجمع اللغة العربية، (المعجم الوسيط) ص 639. وأيضاً: معجم اللغة العربية المعاصرة (ج1582/2).

(6) طعيمة، نبيل، المؤشر والمعيار والمقياس والفرق بينها، مجلة الباحثون العلمية، العدد 66، (2012/12/10م). وراجع أيضاً بتوسع أنواع المعايير وتعريفات متنوعة للقياس: الدامغ، خالد بن عبد العزيز، مواصفات الاختبارات، الرياض، مدار الوطن للنشر، الطبعة الأولى، 1432هـ -2011م، ص64، 29 .

(7) نكري، القاضي عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد، دستور العلماء (جامع العلوم في اصطلاحات الفنون) ج215/3، عرب عباراته الفارسية: حسن هاني فحص، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة أولى 1421هـ - 2000م.

(8) مجمع اللغة العربية بالقاهرة (ابراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر/ محمد النجار)، (المعجم الوسيط)، الناشر: دار الدعوة. ولهذا الفرق فضل الباحث مصطلح (المعيار) لعنوان البحث على مصطلح (القياس). ج770/2.

(9) الرازي، الفخر الرازي، التفسير الكبير، بيروت، دار إحياء التراث العربي ط3، ج10/32.

(10) تفسير ابن كثير216/8. ابن كثير، عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي، (تفسير القرآن العظيم)، متضمنة تحقيقات الشيخ ناصر الدين الألباني، وخرج أحاديثه مجموعة من العلماء، القاهرة، مكتبة الصفا الطبعة الأولى 2002م، ج272/8.

(11) قطب، سيد، (في ظلال القرآن)، بيروت، دار الشروق، الطبعة الرابعة والثلاثون 2004م، ج3848/6، بتصرف.

(12) في ظلال القرآن ج3848/6 نقلاً عن كتاب الله والعلم الحديث للأستاذ عبد الرازق نوفل.

(13) نقصد بالعقل هنا هو الجانب الذي تميز به عقل الإنسان عن عقل الحيوان وبقية دواب الأرض، وهو القدرة على التفكير وإدارك الأمور، والقدرة على الإبداع واستنباط العبر والدروس من الماضي، والقدرة على الربط بين الأشياء واستنتاج ما هو مفيد وما هو مضر، وبالتالي القدرة على صناعة الحضارة الإنسانية وابتكار الصناعات والاختراعات وهذه الجوانب هي التي تميز بها عقل الإنسان عن عقول الحيوان، فلكل حيوان عقل، ولكنه عقل على قدر المهمة التي خلق الحيوان من أجلها.

(14) من مقال (التدين الراقي والتدين العصابي) لمنير شحود sudanese online مدخل أرشيف النصف الأول للعام 2004م، العدد 822، 2-5-2004م، تاريخ الاقتباس: 3-2-2015م وعبارة (التي أبدعها الخالق) إضافة على النص الأصلي، وحذفنا كلمة (تطور المادة) من سياق النص المقتبس، حتى يتناسق القول مع الفكر الإسلامي الصحيح.

(15) تلبس إبليس، لابن الجوزي ص 2.

(16) (مفرد نهى) (إن في ذلك لآيات لأولي النهى) طه 54.

(17) التفسير الكبير للرازي ج164/31، وتفسير ابن كثير ج246/7، وانظر أيضاً: الطبري، محمد بن جرير الطبري، مختصر تفسير الطبري المسمى (جامع البيان عن تأويل آي القرآن) ج537/1، اختصار وتحقيق محمد علي الصابوني والدكتور صالح أحمد رضا، بيروت دار القرآن الكريم ط1 1983م.

(18) ي. إ. كولتشيتكايا، (تربية مشاعر الأطفال في الأسرة)، ترجمة د. عبد اللطيف أبو سيف. دمشق، منشورات دار علاء الدين، ط1، 1997، ص5.

(19) ومن الألفاظ التي استعملها القرآن بمعنى العقل (القلب) ولكن ليس في معرض الامتنان على الإنسان وتميزه في أصل الخلقة، وإنما هي في معرض الآيات التي نعت فيها على الكفار والعصاة الذين عطلوا عقولهم ولم يهتدوا بها (أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها...) الحج: 46، واستدل صاحب المنار بهذه الآية على أن القرآن استعمل القلب بمعني العقل (أنظر تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) ج9//523، ج347/9 كذلك استعمله لفظ (الحجر) كما ذكرنا سابقاً.

(20) تفسير القرآن العظيم ج117/8.

(21) في ظلال القرآن ج3645/6 -3646.

(22) التفسير الكبير للرازي ج210/20 وقد ذكر القرآن الكريم هذه الحواس بصورة مطابقة لمواقعها التشريحية في الدماغ، وكذلك من ناحية بدء وظيفتها وعملها.

والأفئدة هي: القوى العقلية والعاطفية (كالنطق والتفكير والحفظ والتذكر والأحاسيس) ومركزها الدماغ (أنظر موقع (المعهد العالمي للإعجاز القرآني) د. محمد جميل الحبال (السمع والأبصار والأفئدة) دراسة قرآنية،
http://iiquran.com/view_article.php?newsnumber=7&title

وذكر صاحب كتاب (عمدة الحفاظ) أن الأفئدة : جمع (فؤاد)، ويقال للقلب الذي يراد به (العقل) لا العضو المعروف أنظر كتاب – عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ (معجم لغوي لألفاظ القرآن الكريم)، السمين الحلبي، أحمد بن يوسف، تحقيق وتعليق : د. محمد التنوجي، بيروت، عالم الكتب،بدون طبعة، ج229/3.

(23) مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات التربوية والنفسية (بحث بعنوان: مستوى الذكاء العاطفي لدى الجامعة الهاشمية في ضوء متغيرات التخصص العلمي والنوع الاجتماعي والتحصيل الأكاديمي، دسعاد منصور محمود غيث والأستاذ لمى محمد علي الحلح ، المجلد الثاني ص277.

(24) المرجع السابق ص 278-279 بتصرف.

(25) ابن الجوزي، الحافظ الإمام جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي البغدادي ت 597هـ، تلبيس إبليس، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية، 1368هـ، ص312.

(26) (التفسير الكبير) للإمام الفخر الرازي ج234/25.

(27) حرية الفرد والجماعة في الإسلام، د. عبد الستار قاسم ، دار المستقبل، الخليل – فلسطين، الطبعة الأولى 1998، ص118، 120-121، بتصرف.

(28) ويمكن أن يطلق عليها (الضوابط) لكننا فضلنا مصطلح (معايير) انسجاماً مع عنوان البحث،وهما متقاربان في المعنى، ونعني بهما هنا: الأمور التي يعرف بها الإنسان كإنسان، والتي تميزه عن غيره، وهي الحد الفاصل بينه وبين غيره، والتي لا يمكن أن يكون بها إنساناً إلا بها.

(29) رضا، الإمام محمد رشيد ،(تفسير القرآن الحكيم)المشهور بـ(تفسير المنار) تخريج إبراهيم شمس الدين، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية، 2005م، ج523/9، ج347/9.

(30) في ظلال القرآن (ج1493/3-1494).

(31) تفسير الرازي ج164/31-165.

(32) تختلف سبل الوصول إلى الحق والإيمان بالله سبحانه ومعرفة الهدف والغاية من خلق الإنسان ووجوده على الأرض، (فبينما يصل البعض بالعقل والفكر، يصل الآخرون بالعاطفة، وآخرون بالوراثة، وآخرون بالعاطفة والفكر، وقد تضل العقول سبيلها إلى الخالق، وتنزل إلى الدرك الأسفل من السخف فتتخذ من الأحجار والحيوان والإنسان آلهة تجثوا تحت أقدامها) (1) مقرر (الثقافة الإسلامية) لجامعة القدس المفتوحة، فلسطين، الطبعة الثالثة، 2007م، ص 145 نقلاً عن كتاب (معالم الثقافة الإسلامية ص35-40، لعبد الكريم عثمان، ط1، بيروت، مؤسسة الرسالة 1982م).

(33) كنجو، د. خالص جلبي، الطب محراب الإيمان، رسالة دكتوراه، بإشراف د. محمد فايز المط، مؤسسة الرسالة، بدون طبعة، ص70.

(34) ي. إ. كولتشيتكايا، (تربية مشاعر الأطفال في الأسرة) ص5.

يوجد لدى الحيوانات مشاعر وعواطف، كالشعور بالميل إلى أبنائها، والرحمة بهم، وخدمتهم وهم صغار، لكنها تبقى في دائرتها ولا ترتقي إلى المستوى الذي يتميز به الإنسان الذي يملك قلباً ونفساً تضج بمشاعر وعواطف لا يصل إليها النوع الحيواني.

(35) البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري (الجامع الصحيح المختصر) رقم الحديث:52،كتاب الإيمان ، باب فضل من اسبرأ لدينه ، تحقيق وتعليق د. مصطفى ديب البغا، بيروت، دار ابن كثير، الطبعة الثالثة 1407هـ- 1987م، (1/28).

(36) ابن حجر ،الإمام أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، (فتح الباري بشرح صحيح البخاري)، أشرف على تدقيقه وتصحيحه الشيخ عبد العزيز بن باز، ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار المعارف -بيروت، بدون طبعة، 1379هـ، ج128/1 .

(37) النيسابوري، أبو الحسين مسلم (صحيح مسلم) تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (كتاب البر والصلة والآداب)، (باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله)، رقم الحديث: 2564، الناشر: دار إحياء التراث العربي-بيروت، بدون طبعة، 1987/4 .

(38) النووي، الإمام محي الدين النووي (يحيى بن شرف الدين أبي زكريا الدمشقي الشافعي) المسمى (المنهاج بشرح صحيح مسلم بن الحجاج)، تحقيق: محمد بن عبد الرحمن المرعشلي، الناشر: دار إحياء التراث العربي -بيروت، الطبعة الأولى 1420هـ-1999م، (176/8).

(39) الغزالي، الإمام أبو حامد محمد بن محمد الغزالي (إحياء علوم الدين)، وبذيله كتاب (المغني عن حمل الأسفار في الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الأخبار) للعلامة زين الدين أبي الفضل عبد الرحيم بن الحسين العراقي ت 806هـ، بيروت، دار القلم، الطبعة الأولى، ج3/3 .

(40) التدين الراقي والتدين العصابي: لمنير شحود.

http://www.sudaneseonline.com/board/8/msg/sudanese online

مدخل أرشيف النصف الأول للعام 2004م، العدد 822، 2004/5/2، تاريخ الاقتباس: 3-2-2015م.

(41) التفسير الكبير للرازي ج64/15.

(42) قوله (لهم قلوب لا يفقهون بها) أبلغ من أن يقال (ليس لهم قلوب يفقهون بها) لأن إثبات خلق القلوب لهم، هو موضع قيام الحجة عليهم، والتعبير الآخر يصدق بأمرين: بعدم وجود القلوب لهم بالمرة، وبوجود قلوب لا يفقهون بها، وفي الحالة الأولى لا تقوم عليهم حجة، لأنهم لم يؤتوا آلة التكليف، وهو العقل والوجدان، فلا تكون العبادة نصاً في قيام الحجة، لاحتمالها عدم التكليف، وإنما قال (لا يفقهون بها) ولم يقل (لا تفقه) لبيان أنهم هم المؤاخذون بعدم توجيه إرادتهم لفقه الأمور واكتناه الحقائق) (1) تفسير المنار ج353/9.

(43) مركز نون للتأليف والترجمة، الضوابط الخلقية للسلوك الجنسي، كتاب (الحب والعفاف)، نشر جمعية المعارف الإسلامية الثقافية، الطبعة الأولى، حزيران 2009م، ص29-30 .

(44) أبو داود، سليمان بن شعث السجستاني، (سنن أبي داود)، كتاب الآداب، باب الرحمة، (رقم الحديث -4941)، حكم على أحاديثه وآثاره وعلق عليها محمد ناصر الدين الألباني، عناية أبو عبيد مشهور بن حسن آل سليمان، وقال الألباني حديث صحيح، الرياض، مكتبة المعارف، 1427-2007م، ص 893-894. وذكره الألباني في السلسلة، الألباني، محمد ناصر الدين، السلسلة الصحيحة، الرياض، مكتبة المعارف، بدون طبعة، ج594/2.

(45) العظيم آبادي، محمد أشرف بن أمير بن علي بن حيدر (أبو عبد الرحمن) شرف الحق الصديقي، (عون المعبود شرح سنن أبي داود، ومعه حاشية ابن القيم: تهذيب سنن أبي داود وإيضاح علله ومشكلاته. الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الثانية، 1415هـ، ج194/13.

(46) البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، (صحيح البخاري)، (كتاب الجنائز)، باب زيارة القبور، رقم الحديث-1284، الناشر: مكتبة دار السلام، الرياض، الطبعة الثانية، 1419هـ-1999م، ص 205.

النيسابوري، أبو الحسن مسلم، (صحيح مسلم)، تحقيق: محمد عبد الباقي، كتاب الجنائز، رقم الحديث- 923، باب البكاء على الميت، الناشر: بيروت، دار إحياء التراث العربي، بدون طبعة، ج635/2.

(47) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ج158/3.

(48) (صحيح البخاري) كتاب الآداب، باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته، رقم الحديث: 5997، ص1049، ورواه مسلم أيضاً، رقم-2315، كتاب الفضائل، باب رحمته صلى الله عليه وسلم بالصبيان والعيال وتواضعه وفضل ذلك ج1808/4.

(49) صحيح البخاري، كتاب البيوع، باب السهولة والسماحة في الشراء والبيع ومن طلب حقاً فليطلبه في عفاف، رقم-2076، ص333.

(50) صالح بن حميد، وآخرين، (موسوعة نضرة النعيم في مكارك أخلاق الرسول الكريم، ج2101/6، من كلام الفيروز آبادي (بصائر ذوي التمييز) جدة – السعودية، دار الوسيلة للنشر والتوزيع الطبعة الثالثة، 2004م -1425هـ، 55/3 .

(51) في المدن خاصة أما في القرى الريفية، فلا زالت بعض العائلات لديها شيء من التماسك الأسري إلى حد ما لوجود بقايا من الدين والمحافظة عندهم.

(52) مركز نون للتأليف والترجمة، (الحب والعفاف ص 29-30) تحت عنوان (الضوابط الخلقية للسلوك الجنسي).

(53) جامعة القدس المفتوحة ،مقرر(الثقافة الإسلامية)، فلسطين، الطبعة الثالثة، 2007م، ص187-188.

(54) في ظلال القرآن ج3387/6-3389.

(55) الثقافة الإسلامية ص 189.

(56) الشاطبي، أبو إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي ت790هـ، (الموافقات للشاطبي)، تعليق أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سليمان، السعودية دار ابن القيم، ومصر/القاهرة، دار ابن عفان، الطبعة الرابعة 1434هـ-2013م، ج5/1-6.

(57) في ظلال القرآن ج1201/3، بتصرف.

(58) عزام، الشهيد عبد الله عزام، موسوعة الذخائر العظام فيما أثر عن الشهيد عزام، باكستان، مركز الشهيد عزام الإعلامي، الطبعة الأولى، 1417هـ، ج1/ ص14 .

(59) كما هو الحال في تهديد البشرية بحرب تستخدم فيها أسلحة الدمار الشامل، وكثير من العقلاء في الأرض ينذرون بوقوعا، وحينئذ أضحت هذه الإنجازات الحضارية - التي تعبت أوربا قروناً من أجلها - وبال ودمار على العنصر البشري!!.

(60) الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الإسلام والحضارة ودور الشباب المسلم، الرياض، الناشر: الندوة العالمية نفسها، 1405هـ-1985م، ط2، (من مقدمة الطبعة الأولى ج8/1).

(61) في ظلال القرآن ج2895/5.

(62) جامعة القدس المفتوحة، مقرر(الثقافة الإسلامية) ص189.

(63) المرجع السابق، ص 188-189.

(64) البخاري، كتاب الآداب (باب إكرام الضيف وخدمته) ص1069، رقم الحديث: 6136 ومسلم (كتاب الإيمان) (باب الحث على إكرام الجار والضيف)، رقم الحديث: 47، 68/1.

(65) فتح الباري/ لابن حجر، 446/10.

(66) الثقافة الإسلامية ص158، نقلاً عن كتاب (جاهلية القرن العشرين)، لمحمد قطب ص 191-192.

(67) تفسير المنار ج304/1.

(68) العقاد، عباس محمود، الإسلام والحضارة الإنسانية، القاهرة، مصر، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، بدون طبعة، سنة 2012م، ص17.

(69) التفسير الكبير للرازي 21/21.

(70) حسين، د. محمد محمد، الإسلام والحضارة الغربية، نشر - دار الفرقان، بدون طبعة، ص13.

(71) الإسلام والحضارة الإنسانية، للعقاد، ص 17.

(72) المرجع السابق ص18، نقلاً عن كتاب (داخل إفريقيا) لجون جنز.

(73) الإسلام والحضارة ودور الشباب 1/146.

(74) أبو عزيز، سعد يوسف محمود (موسوعة الحقوق الإسلامية)، القاهرة، المكتبة التوفيقية، بدون طبعة، ج808/1.

فهرس المراجع والمصادر:

1- ابن الجوزي، الحافظ الإمام جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي البغدادي، تلبيس إبليس، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية، 1368هـ.

2- ابن كثير، عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي، (تفسير القرآن العظيم)، متضمنة تحقيقات الشيخ ناصر الدين الألباني، وخرج أحاديثه مجموعة من العلماء، القاهرة، مكتبة الصفا،الطبعة الأولى 2002م.

3- ابن منظور/ محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي جمال الدين أبو الفضل (لسان العرب)، بيروت، دار صادر، بدون طبعة.

4- أبو عزيز، سعد يوسف محمود (موسوعة الحقوق الإسلامية)، القاهرة، المكتبة التوفيقية، بدون طبعة.

5- الألباني، محمد ناصر الدين، السلسلة الصحيحة ج594/2، الرياض، مكتبة المعارف.

6- البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري (الجامع الصحيح المختصر) تحقيق وتعليق د. مصطفى ديب البغا، بيروت، دار ابن كثير، الطبعة الثالثة 1407هـ- 1987م.

7- البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، (صحيح البخاري) كتاب الآداب، باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته، رقم الحديث: 5997، الناشر: مكتبة دار السلام – الرياض، الطبعة الثانية، 1419هـ -1999م.

8- جامعة القدس المفتوحة، مقرر(الثقافة الإسلامية)، فلسطين، الطبعة الثالثة، 2007م.

9- حسين، د. محمد محمد، الإسلام والحضارة الغربية، نشر- دار الفرقان، بدون طبعة.

10- الحميدي، محمد بن فتوح، الجمع بين الصحيحين (البخاري ومسلم)، تحقيق: علي حسين البواب، لبنان، بيروت، دار ابن حزم، الطبعة الثانية.

11- الدامغ، خالد بن عبد العزيز، مواصفات الاختبارات، الرياض، مدار الوطن للنشر، الطبعة الأولى، 1432هـ - 2011م.

12- الرازي، الإمام الفخر الرازي، (التفسير الكبير)، بيروت، (دار إحياء التراث العربي)، الطبعة الثالثة.

13- رضا، الإمام محمد رشيد رضا، (تفسير القرآن الحكيم)، المشهور بـ (تفسير المنار)، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية، 2005م.

14- السمين الحلبي، أحمد بن يوسف، تحقيق وتعليق: د. محمد التنوجي، عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ (معجم لغوي لألفاظ القرآن الكريم)، بيروت، عالم الكتب، بدون طبعة ولا سنة النشر.

15- الشاطبي، أبو إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي ت790هـ، (الموافقات للشاطبي)، تعليق أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سليمان، السعودية دار ابن القيم، ومصر/ القاهرة، دار ابن عفان، الطبعة الرابعة 1434هـ-2013م.

16- صالح بن حميد، وآخرين، (موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم)، من كلام الفيروز آبادي (بصائر ذوي التمييز) جدة – السعودية، دار الوسيلة للنشر والتوزيع، الطبعة الثالثة 2004م - 1425هـ.

17- الطبري، محمد بن جرير الطبري، مختصر تفسير الطبري المسمى (جامع البيان عن تأويل آي القرآن)، اختصار وتحقيق محمد علي الصابوني والدكتور صالح أحمد رضا، بيروت دار القرآن الكريم،الطبعة الأولى، 1983م.

18- عزام، عبدالله، (موسوعة الذخائر العظام في ما أثر عن الشهيد عزام)، باكستان، مركز الشهيد عزام الإعلامي، الطبعة الأولى، 1997م.

19- العقاد، عباس محمود، الإسلام والحضارة الإنسانية، القاهرة - مصر، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، بدون طبعة، سنة 2012م.

20- عمر، د. أحمد مختار عبد الحميد ،بمساعدة فريق عمل، معجم اللغة العربية المعاصرة، الناشر: عالم الكتب، الطبعة الأولى 1429هـ- 2008م.

21- الغزالي، الإمام أبو حامد محمد بن محمد الغزالي (إحياء علوم الدين)، وبذيله كتاب (المغني عن حمل الأسفار في الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الأخبار) للعلامة زين الدين أبي الفضل عبد الرحيم بن الحسين العراقي، بيروت، دار القلم، الطبعة الأولى.

22- قاسم، عبد الستار، (حرية الفرد والجماعة في الإسلام)، دار المستقبل، الخليل- فلسطين، الطبعة الأولى.

23- قطب، سيد، (في ظلال القرآن)، بتصرف،بيروت ، دار الشروق، الطبعة الرابعة والثلاثون 2004م.

24- كنجو، د. خالص جلبي، الطب محراب الإيمان، رسالة دكتوراه، بإشراف د. محمد فايز المط، مؤسسة الرسالة، بدون طبعة.

25- كولتشيتكايا، ي إ كولتشيتكايا، (الأطفال في الأسرة)، ترجمة د. عبد اللطيف أبو سيف. منشورات دار علاء الدين، ط1. دمشق1997م.

26- مجمع اللغة العربية، (المعجم الوسيط)، الناشر: مكتبة الشروق الدولية، الطبعة الرابعة.

27- مركز نون للتأليف والترجمة، (الضوابط الخلقية للسلوك الجنسي)، كتاب (الحب والعفاف)، نشر جمعية المعارف الإسلامية الثقافية، الطبعة الأولى، حزيران 2009م.

28- المطرزي، ناصر بن عبد السيد أبي المكارم بن علي أبو الفتح (برهان الدين الخوارزمي المطرزي)، ت610هـ (المغرب في ترتيب المعرب)، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، بدون طبعة.

29- الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الإسلام والحضارة ودور الشباب المسلم، الرياض، الناشر: الندوة العالمية نفسها،الطبعة الثانية ، 1405هـ-1985م.

30- نكري، القاضي عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد، دستور العلماء (جامع العلوم في اصطلاحات الفنون) ج215/3، عرب عباراته الفارسية: حسن هاني فحص، الناشر: دار الكتب العلمية،بيروت، لبنان، الطبعة أولى 1421هـ - 2000م.

31- النيسابوري، أبو الحسين مسلم بن الحجاج (صحيح مسلم) تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، كتاب الفضائل، باب رحمته صلى الله عليه وسلم بالصبيان والعيال وتواضعه وفضل ذلك، رقم: 2315، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، بدون طبعة.

مراجع الإنترنت:

1- التدين الراقي والتدين العصابي: لمنير شحود، sudanese online مدخل أرشيف النصف الأول للعام 2004م، العدد 822، 2004/5/2م. تاريخ الاقتباس: 3-22015م.
http://www.sudaneseonline.com/board/8/msg/

2- السمع والأبصار والأفئدة ، دراسة قرآنية (المعهد العلمي للإعجاز القرآني)، محمد جميل الحبال.
http://iiquran.com/view_article.php?newsnumber=7&title

الدوريات والمجلات العلمية:

1- غيث، د.سعاد منصور محمود والأستاذ لمى محمد علي الحلح، *مستوى الذكاء العاطفي لدى الجامعة الهاشمية في ضوء متغيرات التخصص العلمي والنوع الاجتماعي والتحصيل الأكاديمي*. مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات التربوية والنفسية، المجلد الثاني، العدد 7، الصفحة 273، ذو الحجة 1435هـ، تشرين أول 2014م.

2- طعيمة، نبيل، *المؤشر والمعيار والمقياس والفرق بينها*، (مجلة الباحثون العلمية)، العدد 66، (2012/12/10م).